

السلاسل الذهبية

في نسب الدين عند الإباضية



الجزء الأول

سليمان بن سعيد الشيباني

السلاسل الذهبية

في نسب الدين عند الإباضية

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م



نشر وتوزيع:
مكتبة خزائن الآثار
سلطنة عُمان - بركاء
نقال: ٠٠٩٦٨٩٨١٧٧٧٨٩ — ٠٠٩٦٨٩٥٥١٠٠٢٥

الراعي الإعلامي:
موقع بصيرة الإلكتروني
موسوعة إلكترونية في العلوم الإسلامية
لسماحة الشيخ العلّامة أحمد بن حمد الخليلي
المفتي العام لسلطنة عُمان
للتواصل: www.baseera.net - info@baseera.net

السلاسل الذهبية

في نسب الدين عند الإباضية

الجزء الأول

سليمان بن سعيد الشيباني


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسـلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين. وبعد؛

فنَسَبُ الدين، أو نِسْـبَةُ الدين هو مصطلح قديم، متعارف عليه عند علماء الإباضيـة، يُوصَف به العدول الثقات من العلمـاء والفقهاء الذين أخذوا دينهم واحدًا عن واحدٍ، وطبقةً عن طبقةٍ، من زمانهم إلى النبي ﷺ، وقد ورد هذا المصطلح في كثير من كتب الإباضية الأوائل، فمن يقرأ في سير علماء الإباضية يجد بين حين وآخر جملة: «وهو ممن جاز عليه نسب الدين»، أو «جازت عليه نسبة الدين»، وهي تطلق على من مرَّ عليه إسناد الدين ويُعتبر منْقَبةً من مناقبه، وبيانًا لرفعته، وعُلُوًّا لقدره ومنزلته.

والمقصود بالديـن هو دين الإسـلام كما جاء صافيًـا نقيًا عن النبـي ﷺ؛ تنزيهًا مطلقًا لله تعالى، ووقوفًا عنـد حدود الله، واجتنابًا للشبهات، واحتياطًا في الدين، وورعًا وصدقًا وتقوَى واستقامةً.

وشجرةُ نسبِ الدين هي حلقات متصلة ومتشابكة من العلماء الأعلام الذين حملوا الدين ونقلوه بكل أمانة إلى مَن بعدَهم؛ بعيدًا عن تأثير المال والجاه والسلطان، وهم من جملة الذين وصفهم النبي الكريم ﷺ بقوله: «يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»[1].

شجرة نسب الدين موجودة في كل المذاهب المعروفة غير أن علماء الإباضية ـ خصوصا في بلاد المغرب ـ هم أكثر من اهتم بها، وحافظ على اتصالها وتوثيقها، وهي تبدأ من إمام الأنبياء والمرسلين وسيد الأولين والآخرين: محمد بن عبد الله ﷺ، ثم الحلقات الأولى التي يلتقي فيها الجميع، وهي حلقة الصحابة وعلى رأسهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعائشة أم المؤمنين، وغيرهم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ثم حلقات التابعين وتابعي التابعين، ثم من جاء بعدهم.

وبالنسبة للإباضية فهي تبدأ ـ بعد النبي ﷺ والصحابة الكرام ﷺ من الإمام جابر بن زيد الأزدي، الذي أخذ العلم عن كثير من الصحابة، من بينهم ابن عباس وعائشة وأنس ابن مالك وغيرهم ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ ثم تفرعت عن طريق تلاميذه الذين من أبرزهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن

(١) الطبراني، مسند الشاميين الجزء الأول، ص٣٤٤ حديث ٥٩٩، ورواه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى.

السائب، وأبو نوح صالح الدهان، ثم انتشرت شجرة نسب الدين وتفرعت شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا عن طريق تلاميذهم الذين اشتهروا باسم حملة العلم، ثم تلاميذهم ومن جاء بعدهم، واستمرت الشجرة ممتدة ومتصلة في المشرق والمغرب عبر الأجيال والقرون إلى عصرنا الحاضر.

من الصفات التي تجمع أولئك العلماء بأنهم جميعا عدول وثقات، أصحاب فقه عميق، وخلق قويم، وسلوك مستقيم، كانوا مضرب الأمثلة في التقوى والصلاح، والنزاهة والورع؛ منهم مَن كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، يقول الحق ولا يخاف لومة لائم، ومنهم من نذر نفسه للتربية والتعليم، وحبس نفسه للتدريس، ومنهم مَن بسط الله عليه الرزق فأنفقه في وجوه الخير، ومنهم مَن نذر نفسه للجهاد، وأسهم في إقامة دول نشرت الإسلام في المشرق والمغرب، لم يكونوا من علماء السلاطين، ولم يكونوا من الذين يرتشون أو يتزلفون لحاكم أو أمير، بل كانوا هاربين من الدنيا مقبلين على الآخرة، وصفهم الشيخ عبد الله بن يحيى الباروني[1] رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:

(١) عبد الله بن يحيى الباروني، والد المجاهد سليمان الباروني، عالم وفقيه ومربٍّ، من بلدة (كاباو) بجبل نفوسة، درس في جربة على الشيخ سعيد بن عيسى الباروني، ثم سافر إلى الأزهر وتعلم على مشايخه، وعاد ليقوم بواجب التربية والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سكن (جادو)، وقام بالتدريس في المدرسة البارونية في (يفرن)، تتلمذ عليه ابنه المجاهد سليمان، وعمرو بن عيسى التندميرتي، وسالم البرشوشي وغيرهم، له ديون شعر، وكتاب صغير بعنوان: «سلم العامة والمبتدئين لمعرفة أئمة الدين»، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م.

«... أتقيـاء، بررة أصفيـاء، صادقون أولياء، أهـل علم وعمل، وفضل وعدل، وورع وتقوى، وزهد وهدى، وحلم وخضوع وتواضع وخشـوع، ليسـوا بأهل بغي ولا تكبر، ولا ظلم ولا تجبر، بل هم الآمرون بالمعروف، الناهـون عن المنكر، الحافظـون لحدود الله، المجاهدون في سـبيل الله، لا لطلب الدنيا ولا لرغبة في الملك، بل لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، حتى أنَّ مَن كان منهم من أهل الخلافـة وأظهره الله على عـدوه، وظفر بخزائن أمواله، تنَـزَّه عن أخذها، وزهد فيها وتركها»[1].

كما وصفهم الشيخ أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي[2]، وهو يتحدث عن القدوة بقوله:

---

(١) عبد الله بن يحيى الباروني، سلّم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، ص٥٨، الضامري للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.

(٢) أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي، عالم جليل، وفقيه ورع، من قرية بهلا، كان كفيف البصر، ويُعَدُّ من العلماء البارزين فـي القرن الثالث الهجري، حمل العلم عن محمد بن محبوب بن الرحيل، والوضاح بن عقبة، ونبهان بن عثمان وغيرهم، وهو واحد من ثلاثة ضُرب بهم المثل في عُمان فقيل: رجعت عُمان إلى أصم وأعرج وأعمى، فكان أبو المؤثر هو الأعمى.
تتلمذ عليه كثير من العلماء منهم: أبو الحواري محمد بن الحواري، ومحمد بن أبي غسـان، وغيرهم، كان من أصحاب المشـورة في اختيار الإمام الصلت بن مالك الخروصي سـنة ٢٣٧هـ، وممن استمسـك بإمامته عندما عزله موسى بن موسى وراشد بن النظر، كما كان من المبايعين للإمام عزان بن تميم، له أجوبة وفتاوى كثيرة تزخر بها كتب الفقه والتاريخ، توفي سنة ٢٧٨هـ.

«وليس الاقتداء بعامة من صلى وصام، ولكن القدوة بأهل العلم بكتاب الله وسنة نبيه، وآثار السلف من أولي الأمر الذين حملهم الله الحكمة، وجعلهم للناس أئمة، يفرقون بين الحق والباطل، بقول مشروح، وباب مفتوح، ولا يلبسون الحق بالباطل، ولا يكتمون وهم يعملون، يمضي على ذلك أولهم، ويقفوهم على آثارهم آخرهم، ليس بينهم فرق ولا اختلاف، ولا يدينون بالإرجاف ولا بالاعتساف، حجتهم واضحة، ودعوتهم شارحة، فكلما مضى منهم قرن، خلف من بعدهم من هو دونهم بالفقه والعلم، إلا أن الديانة واحدة، لا يستحل آخرهم شيئا حرمة أولهم، ولا يُحرِّم منهم الخلف شيئا أحلَّه السلف، وإن اختلفوا في الرأي في المسائل، فليس بينهم اختلاف في الدين، وليُّهم واحد، وعدوُّهم واحد، يتولى بعضهم بعضا[1].

هذا الكتيب الصغير هو مقدمة لمشروع يضم ترجمة لمعظم العلماء الذين وردت أسماؤهم ضمن هذا الكتاب، وهو يجمع روايات نسب الدين عند الإباضية في المشرق والمغرب، بالإضافة إلى تعريف مختصر بالمذهب الإباضي، والكتاب لا يبعد في محتواه عن كتاب الشيخ عبد الله بن يحيى الباروني «سلَّم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين»، إلا أن الشيخ الباروني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد اقتصر على ذكر روايات نسب الدين في بلاد المغرب إلى القرن العاشر الهجري، كما أنه لم يتعرض إلى ذكر نسب الدين في عُمان، بينما هذا الكتاب

(١) السير والجوابات لعلماء وأئمة عُمان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، طبعة ١٩٨٦م، الصفحة الأولى بعد مقدمة المؤلف.

يشمل كل ما أمكن الحصول عليه من روايات تتعلق بنسب الدين إلى وقتنا الحاضر، سواء بالمشــرق أو بالمغرب، كما تم إضافة جداول لشجرة العلماء حسب ما ورد في الروايات من أجل التوضيح وتيسير الفهم والمتابعة.

وفي ختام هذه المقدمة، من الواجب عليَّ أن أشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب بأي وسيلة كانت؛ خصوصا من قام بمراجعة بعض الفصول، كما أشــكر كل من أسدى إليَّ نصيحة أو اقتراح، أو ساهم في تنسيق الكتاب وطباعته ونشره.

أسأل الله تعالى أن يبارك لهم في أوقاتهم وسعيهم جميعا.

هذا وبالله التوفيق.

سليمان بن سعيد الشيباني ـ مسقط ـ عُمان.
الخميس ٨ ربيع الأول ١٤٣٨هـ
الموافق ٨ ديسمبر٢٠١٦م.

الفصل الأول

مدخل لفهم المذهب الإباضي

مقدمة

قبل البداية في ذكر علماء نسَب الدين، من المهم أن نذكر نبذة مختصرة عن المذهب الإباضي؛ نشأته، وأصوله، وخصائصه؛ ذلك لأن كثيرا من المسلمين ـ ممن لا يعرف الإباضية حق المعرفة ـ لديهم صورة مشوهة عن المذهب، تلقَّوْها بالسماع، أو قرؤوها في مصادر حوَتْ معلومات غير دقيقة عن الإباضية.

ومن المؤسف أن كثيرا ممن ينتسب إلى العلم من غير الإباضية في العصر الحاضر لم يكلّفوا أنفسهم عناء التأكد من حقيقة ما ينسب إلى الإباضية من شبهات، وأقوال ـ غير صحيحة ـ عن طريق الاتصال المباشر بالعلماء، أو بقراءة كتبهم، وهي قريبة ومتوفرة، لكنهم اقتصروا على ما وجدوا في المصادر القديمة من المعلومات التي تنقصها الدقة والموضوعية، ولم يعيروا الفكر الإباضي اهتماما جِدّيا لدراسته بطريقة موضوعية؛ ليكوّنوا عنه صورة واضحة ينقلونها إلى عامة المسلمين.

ولا يزال كثير من العلماء والمثقفين ينظر إلى الإباضية بنوع من الشك والارتياب في عقيدتهم، ولا يزال أغلبهم يصرون على حشـــر الإباضية ـ إمّا جهلاً أو قصدًا ـ ضمن طوائف الخوارج أو المتطرفيــن أو المبتدعة، وهــذا غير مقبول فــي عصر البحث العلمي، وخصوصا في هذا الوقت الذي يحتاج فيه المسلمون أن يتفقوا على الأصول العامة للديــن، وأن يتوحَّدوا لمقاومة الغزو الفكري والاقتصادي الذي يقوده أعداء الإســلام في داخل الأمة الإسلامية وخارجها.

وقد يُلتمَس العذر لبعض الكُتَّــاب والمؤرخين القدامى الذين نحســن الظن بهم، إذ لم يكن لديهم من المصادر والمراجع غير ما ســمعوه من أشــياخهم أو ما وجدوه في كتب جانبت الحقيقة وخالفت الصــواب، لكــن في هــذا الزمــان الذي ســهلت فيه الاتصالات، وتوفرت فيه المعلومات، لا يُمكن أن نجد عذرا لكثير من أســاتذة الجامعات والباحثيــن والعلماء، والدكاترة ومشــايخ الفضائيــات، وطلبة العلــم الذين يملكــون كل الوســائل التقنية والاتصالات والمواصلات، وفي نفس الوقــت لا يزالون مصرين على الإعراض عن دراســة الفكر الإباضــي، ويوصون تلاميذهم وأتباعهــم بعدم قــراءة كتبهم، بحجــة أنهم خــوارج، وأهل بدع وضلال، بينما يسمحون لأنفسهم ولتلاميذهم بالقراءة والكتابة عن كل الحــركات الهدامــة والمذاهــب والأفــكار غير الإســلامية، كالشيوعية والرأسمالية والقاديانية وغيرها.

إن كثيرا من الأفكار التي كان ينـادي بها الإباضية في القرن الأول الهجري أصبحت في العصر الحالي حقائق وواقع معترف بها عند أغلب المسلمين الآن، فقضية الخروج عن الحاكم الجائر، والتي كانت أحد الأسباب الذي من أجلها أُطلِق مصطلح الخوارج على الإباضية؛ أصبحت من المسـلَّمات في هـذا العصر، إذ إن الخروج علـى الحاكم الجائر هو المبدأ الذي تأسسـت عليه كل الحركات الإسـلامية التي تنـادي بتحكيم شـرع الله في العالم الإسلامي، كما أن الثورات الشعبية التي انطلقت في بعض البلاد الإسلامية ضد الظلم والاستبداد في السنوات الماضية ما هي إلا نتيجة لقناعة الشـعوب بجواز بل بضرورة الخروج على الحاكم الجائر.

ورواية الإمامة في قريش التي دافع عنها الأمويون والعباسـيون ومن جاء بعدهم من الحكام ومن تبعهم من العلماء لقرون عديدة، لم يعد يهتم بها ويتحمس لها أغلب العلماء والمفكرين المعاصرين، كل هذا يؤكد أن المسلمين يقتربون شـيئا فشيئا نحو الرأي الذي قال به سلف الإباضية منذ زمن بعيد.

لذلك أصبح من الضروري أن يفهم كل المسلمين ما الإباضية؟ ومتى نشأت؟ ولماذا نشأت؟ وكيف انتشرت؟ ومن أئمتها؟ وما أصل الخلاف بينها وبين المذاهب والفرق الأخرى؟ وما خصائص الفكر الإباضي؟ ولماذا عُزل فكرها عن الأمـة طيلة القرون الماضية؟ هذا ما سيتم تلخيصه في الصفحات الآتية:

نشأة المذهب الإباضي:

المذهب الإباضي هو أول المذاهب الإسلامية تكوُّنًا، وهو المذهب السائد في عُمَان، وفي جبل نفوسة ووادي ميزاب وجزيرة جربة وزنجبار؛ ويرجع في نشأته وتأسيسه إلى عصر التابعين؛ فمؤسّسُهُ الأول والذي أرسى قواعد فقهه وأصوله هو الإمام والمحدث والفقيه التابعي الشهير جابر بن زيد الأزدي.

يُعدُّ الإمام جابر بن زيد من أبرز علماء النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ولد بين عامي ١٨ ـ ٢٢ هجرية في بلدة «فرق» قرب مدينة نزوى بسلطنة عُمان، يُكنَّى بأبي الشعثاء ـ نسبة إلى ابنته ـ. وينتمي إلى قبيلة الأزد، وهو أول العلماء في سلسلة نسب الدين بعد جيل الصحابة ﵃.

تلقى الإمام جابر تعليمه الأول في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى البصرة حيث تعلم علوم الفقه والحديث على أيدي كثير من الصحابة ﵃، ومن أبرز الصحابة الذي تعلم منهم: أم المؤمنين عائشة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله إلا أنه كان أكثر ملازمة لعبد الله بن عباس، والمتتبع لروايات مسند الربيع بن حبيب يجد أن أكثر رواياته عن عبد الله بن عباس ﵄.

عاش معاصراً للحسن البصري، وكان صديقًا حميمًا له، وقد نال ثقة شيوخه من الصحابة والتابعين، فقال عنه ابن عباس: «لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علمًا عمًّا في كتاب الله»[1].

---

(١) البخاري، التاريخ، ج ٢، ص ٢٠٤.

وذكر أبو نعيم في كتابه «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» أقوالا لكثير ممن عاصروه تُشيد بمكانته العلمية وزهده في الدنيا، فقد وصفه ابن عمر بـ: «أنه من فقهاء البصرة البارزين»، بينما قال عنه قتادة: «إنه عالم العرب»، أما عمرو بن دينار وهو أحد علماء التابعين فقال عنه: «ما رأيت أحدًا أعلم بالفتوى من جابر بن زيد»، وكان إياس بن معاوية ـ وهو قاضي البصرة في عهد عمر بن عبد العزيز ـ يقول: «أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد»[1].

وقد أجمع علماء الحديث على عدالة الإمام جابر وضبطه، فرَوَى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، ومجموعة من المفسرين، كما وردت إشارات بمكانته العلمية عند السيوطي وابن حجر.

تتلمذ على يده خلق كثير، من أبرزهم: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وجعفر بن السَّمَاك، وضِمَام بن السائب، وأبو نوح صالح الدَّهان، وقتادة، وعمرو بن دينار، وعمرو بن هرم، ويَعلى بن مسلم، وغيرهم.

انتشر مذهب جابر عن طريق تلاميذه ومعاصريه الذين من أشهرهم: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي الذي خلفه في إمامة المذهب بالبصرة، وعن طريق تلاميذ أبي عبيدة الذين وفدوا

---

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ٣، ص ٨٥ ـ ٨٧، طبعة دار الفكر.

عليه من كل مكان، انتشـــر الفكر الإباضي شرقا وغربا، وقد تمكن بعض منهم من أن يؤسســـوا إمامات ودولا لعبت دورا سياسيا مهما في بعض مراحل التاريخ، في اليمن وحضرموت وعُمَان، وفي ليبيا وتونس والجزائر وزنجبار.

وعن طريق تلاميـــذ أبي عبيدة الذين أطلـــق عليهم لقب «حملة العلم» وانتشروا في المشرق والمغرب ومن هنا بدأَتْ شجرة علماء نسَب الدين عند الإباضية، والتي هي موضوع هذا الكتاب.

نسبة المذهب الإباضي

رغم أن جابر بن زيد هو فقيه الإباضية الأول، إلا أن المذهب لم يُنْسب إليه، وَإِنَّمَا نُسِب إلى عبد الله بن إباض، وهو تابعي أيضًا، عاصر معاوية بن أبي سفيان، وتوفي في أواخر أَيَّام عبد الملك بن مروان.

وسبب شهرة عبد الله بن إباض أنه كان قائدًا سياسيًا، مجاهرًا بالحق، آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، يرفض الطغيان والاستبداد بالحكم، فكان يدافع عن حق المسلمين في اختيار من يلي أمرهم، وينادي بالعدل والشورى وتحكيم الشرع؛ هذا الحق الذي ضيعه الأمويون عندما ابتدعوا مبدأ توريث الحكم، وحصروه في أقاربهم من بني أمية، كما أنه جادل الخوارج، ورفض الخروج واستعراض الناس وقتل الأبرياء.

ونظرًا لمواقفه الجدلية مع الخوارج، ولحركته النشطة في نقد سلوك الأمويـــين بابتعادهم عن منهج الخلفاء الراشـــدين، ظهر بمظهر الزعيم ونُسبت إليه الإباضية من قبل الأمويين، إلا أن الإباضية لم يعترفوا بهذه

التسمية إلا في وقت متأخر بعدما انتشرت على ألسنة الجميع، فتقبلوها تسليمًا بالأمر الواقع عند الآخرين، أما الإباضية فقد كانوا في بداية أمرهم يسمون أنفسهم «أهل الدعوة» أو «جماعة المسلمين»، ثم أطلقوا على أنفسهم فيما بعد «أهل الحق والاستقامة» أما كلمة «الإباضية» فلم تستخدم في المصادر الإباضية فيما يبدو إلا في القرن الثالث الهجري.

ورغم أن المذهب الإباضي ينسب إلى عبد الله بن إباض، إلا أنه ليس موجودًا في شجرة علماء نسَب الدين، ولا يوجد له في المصادر الإباضية أي مسألة فقهية، أو ما يمكن أن يعتبر سيرة تاريخية له إلا بعض المقتطفات المتناثرة في بعض الكتب، ولذلك فإن بعض علماء الإباضية يعتبرون نسبة الإباضية إلى عبد الله بن إباض نسبة خاطئة من الناحية العلمية.

قال الشيخ نور الدين السالمي[1] في كشف الحقيقة:

---

(١) الإمام نور الدين عبد الله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي، فقيه مدقق، وعالم محقق، وناظم للشعر، ومرجع عُمَان في عصره، من بني ضبة، ينتمي إلى قبيلة السوالم، ولد الإمام السالمي سنة ١٢٨٦هـ ببلدة الحوقين، وهي من أعمال الرستاق، وفيها نشأ نشأة طيبة، فتعلم القرآن على يد والده، ثم انتقل إلى الرستاق، وتعلم على يد الشيخ راشد بن سيف اللمكي، وقد لاحظ فيه النجابة والفهم وسرعة الحفظ، يُعدُّ الإمام السالمي عَلَمًا بارزًا في مسيرة النهضة العلمية والإصلاحية في عصره، وهو أحد أقطاب الأمة المجتهدين، جامعًا للمعقول والمنقول، غزير العلم واسع الاطلاع، قوي الشخصية، شديد الغيرة والتمسك بالدين، لا يعرف الجبن أو النفاق، ورغم أنه فقد بصره وهو في الثانية عشرة من عمره، وعاش ضريرا، لكنه كان نيّر البصيرة، مجاهدًا في سبيل إصلاح الأمة، وتمكن بإيمانه وإخلاصه من إقامة الإمامة قبل موته بسنة، فنصّب =

فَمـا الإباضيُّـونَ إلَّا علَمَـا   لِخُلَفـاءِ الْحَـقِّ مِنَّـا فاعلَمَـا

إنَّ الْمُخالِفيـنَ قَـدْ سَـمَّوْنا   بـذاكَ غَيْـرَ أنَّنَـا رَضِينَـا

وَأَصْلُـهُ أَنَّ فَتَـى إِبـاضِ   كانَ محاميـاً لنـا وماضِـي

مُدافعـاً أَعْدَاءَنـا بالْحُجَّـةِ   وَحاميـاً إِخْوانَنَـا بالشَّـوْكَةِ

قد كانَ في الْمَنْعَةِ مِنْ عَشِـيرَتهِ   وَلا يُطـاقُ بأسُـهُ لِسَـطْوَتِهِ

فأَظْهَرَ الْحَقَّ عَلـى رَغْمِ العِدَى   والـكُلُّ مِـنْ أعدائِهِ قَدْ شَـهِدا

قَدْ كانَ فـي أَيَّامِ عبـدِ المَلِكِ   مَعْ شِـدَّةِ الأمْرِ وضَيْقِ الْمَسْلَكِ

نـاقَشَـهُ وَبَـيَّـنَ الـصَّـوَابـا   ولَـمْ يَكُـنْ لِيأْسِـهِ قَـدْ هَابَا

وكان لا يَدْعُـوه إلا باسْـمِهِ   تَـعَـزُّزاً بـحَـقِّـهِ وعِـلْـمِـهِ

فصَـارَ معروفـاً مَـعَ الْجميعِ   لِمَا حـوَى مِـنْ شَـرَفٍ رَفيعِ

ونَسَـبوا مَـنْ كانَ فـي طَرِيقَتِهْ   إليهِ لاشْـتِهارِ حُسْـنِ سِـيرَتِهِ

وَنَحْـنُ الأَوَّلِيْنَ لَمْ يَشْـرَعْ لَنَا   نَجْـلُ إِبـاضٍ مَذْهبـاً يَحْمِلُنَا

مِنْ ذَاكَ لا تَلْقى لَهُ في الْمَذْهَبِ   مَسْـأَلَةً نَرْسِـمُها فـي الكُتُبِ

فَنَحْنُ في الأَصْـلِ وفي الفُروعِ   علـى طَرِيـقِ السَّـلَفِ الرَّفيعِ

فَنَأْخُـذُ الْحَـقَّ مَتَـى نَـراهُ   لَـوْ كانَ مُبْغِـضٌ لَنَـا أتَـاهُ

والبَاطِلُ المَـرْدُودُ عِنْدَنـا وَلَوْ   أَتى بِه الْخِلُّ الـذي لَهُ اصْطَفَوْا

= الإمام سالم بن راشد إمامًا للمسلمين، ترك الإمام السالمي آثارًا علمية قيمة في علوم الشريعة واللغة العربية والتاريخ، وما يزال بعضٌ منها مخطوطًا، انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٣٢هـ، بعد ست وأربعين سنة، أنجز فيها مالم ينجزه من عاش مئات السنين. ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، رقم ٧٨٩، ومعجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، رقم ٤٧٥.

فـلا احتـرامَ عندنـا لرجُـلِ قَدْ خالفَ الْحَـقَّ ولَو كَان عَلِي
نرضَـى بما يرضَـى بـهِ الإلٰهُ فـي دِينِـهِ ونَأْبَـىٰ مـا يَأْبـاهُ
سِـيْرَتُنا سِـيْرَةُ صَحْبِ أَحْمَدَا لَا نَرْضَىٰ أَهْـلَ الظُّلم فينـا مُقْتَدَى

ويقول الدكتور عوض خليفات: «إن المصـادر الإباضية تُجمع على أن ابن إباض لم يكن إمامهم الحقيقي ومؤسـس دعوتهم، وإنْ كان من علمائهم ورجالهم البارزين في التقوى والصلاح»[1].

ولكونه يتبنى موقف المعارض للدولة الأموية نُسِـبت إليه وإلى أتباعه كلمة الخوارج، كما نُسبت إلى كل من عارض الدولة الأموية. والإباضية أبعـد ما يكونون عـن الخـوارج، ولا يجمعهم مع فكر الخوارج إلا إنكارهم للتحكيم ومعارضتهم للحكم الأموي، بل ثبت أن عبد الله بن إباض كان ينتقد آراء الخوارج المتطرفين الذين انحرفوا عن النهج الصحيح باستعراضهم للناس وسفكهم لدماء الأبرياء.

خصائص الفكر الإباضي:

المذهب الإباضي، ليس مذهبا فقهيا فحسب، وإنما هو منظومة متكاملة تشمل جميع جوانب الحياة، وهو في عقيدته وفقهه وسلوك أتباعه مبني على مجموعة من الأصول والقواعد والمبادئ المستمدة من القرآن الكريم، وما اتفقت عليه الأمة من السنة النبوية الصحيحة الثابتة مـن النبي ﷺ. فمنهـا ما يتفق فيها الإباضية مـع غيرها من المذاهب، ومنها ما يخالفونهم فيها.

(١) عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ص٨٤، طبعة ١٩٧٨م.

وليس هذا مجال التفصيل في هذه الخصائص، فقد تولت ذلك كتب عديدة أخرى، لكن نذكر باختصار بعض ما يتعلق منها في مجالات العقيدة والفقه والسياسة والسلوك.

الجانب العقدي:

بَنى الإباضية أصول العقيدة والتوحيد على الأدلة القطعية التي لا يحوم حولها الشك أو الخطأ، فاعتمدوا في مجال العقيدة على نصوص القرآن والمتواتر من السُنة فقط؛ لأن القرآن محفوظ من التحريف والتزييف بنص القرآن نفسه والمتواتر من السنة، فقد أجمعت عليه الأمة، أما الأحاديث الأحادية فليست بحجة في مجال العقيدة.

وقد أسس الإباضية تصورهم العقدي على مجموعة من القواعد المستوحاة من النصوص المحكمة من الكتاب العزيز والسنة النبوية، والدلائل العقلية، أهم هذه القواعد ما يلي:

١ ـ الإسلام كلٌ لا يتجزأ، فالإيمان عند الإباضية: «اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان وعمل بالأركان»، والقرآن الكريم مليء بآيات كثيرة تدل على هذا المعنى، فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله عليه أن يتحمل مسؤوليتها وتبعاتها، فهي ليست مجرد جملة يرددها اللسان، ويطمع بمجرد قولها دخول الجنان، إنما هي التزام كامل بأوامر الله، واجتناب كامل لنواهيه، ولو كانت جملة تقال لقالها كفار قريش الذين حاربوا هذا الدين وعذبوا كل من آمن به.

وبناء عليه فإن دخول الجنة مرتبط بالتقوى والعمل الصالح، وقد ورد هذا في آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها قول الله تعالى:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠، ٩١].

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥].

وفي مقابل هذا نجد بعض المذاهب وخصوصا أهل الحديث يرون أن النطق بالشهادتين يعتبر كافيًا لدخول الجنة، ولو عمل بعض المعاصي والكبائر، ويستدلون على ذلك بحديث البطاقة، وحديث: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق».

والإباضية يردُّون هذا الحديث وأمثاله؛ لأنه يتنافى مع الآيات الكثيرة التي تَقرن الإيمان بالعمل الصالح، والحديث أيضا يتعارض مع نصوص حديثية أخرى، كقول الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، وقوله: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»، وقوله: «لا يدخل الجنة قتات»، وغيرها كثير، ولو كان الأمر على ظاهر تلك الأحاديث لما حارب أبو بكر الصديق مانعي الزكاة، ولا قال كلمته المشورة: «والله لأقاتلنَّ من فرّق بين الصلاة والزكاة».

٢ ـ أساس التوحيد هو التنزيه المطلق لله تبارك وتعالى ونفي التشبيه والتجسيم؛ فهو لا يشبهه شيء، ولا يشبه شيئا من الخلق

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فالله ﷻ لا يشبه المخلوقات ولا يوصف بالجهات، فهو قريب من عباده بعلمه وحفظه، ولا يجوز وصف الله تعالى بالجهة والمكان، ولا بالجوارح وصفات الأجسام.

ورغم أن تنزيه الله تعالى عن كل نقص متفق عليه بين كل المذاهب الإسلامية إلا أنَّ الإباضية يؤكدون هذا التنزيه بتأويل كل صفة من صفات الله تعالى التي يُتوهَّم منها التشبيه بما يليق بجلال الله وقدرِه، ويُشدِّد الإباضية في ما يتعلق بذات الله تعالى، فلا يثبتون له أي صفة من صفات البشر، وينكرون على المشبهة والمجسمة وصف الله تعالى بصفات المخلوقين.

فالإباضية يثبتون لله الأسماء الحسنى والصفات العليا، كما أثبتها لنفسه، ويقسمونها إلى صفات واجبة، وصفات جائزة، وصفات مستحيلة، فالصفات الواجبة: كالقدرة والعلم والإرادة، والمستحيلة: كالموت والنوم والأكل والشرب والجهل والعجز، وما شابه ذلك من صفات المخلوقين، وأما الصفات الجائزة فهي فعل كل شيء أو تركه، وما جاء في القرآن الكريم أو في السنة النبوية المطهرة من الألفاظ التي يُتوهَّم منها التشبيه فإنها تؤَوَّل بما يفيد المعنى، ويبتعدون كل البعد عن وصف الله تعالى بما يوهم التشبيه، فالعين تُؤَوَّل بالحفظ، واليد بالقدرة، والوجه بالذات، وهكذا، وينكرون أشد الإنكار على من يقول بأن لله عينًا ويدًا ولسانًا ورجلًا، وغيرها من الجوارح.

وبناء على قاعدة التنزيه، وأن العقيــدة لا تؤخذ إلا من المقطوع بثبوته كالقرآن الكريم والمتواتر من السُنة، فإن الإباضية يرون استحالة رؤية الخلق لله ﷻ في الدنيا والآخرة، ويردُّون كل الأحاديث الواردة في التشبيه، وأدلتهم النقلية والعقلية مفصلة في كثير من الكتب[1].

٣ ـ وعد الله ووعيده حق، فالثواب والعقاب الوارد في كتاب الله تعالى لا يتبدل ولا يتغير؛ لأنه مرتبط بالعدل الإلهي الذي يعطي كل ذي حق حقه، بمعنى أن مــن أتى بالإيمان كاملا، وعمل صالحا، ثم مات على التوبة، فإن الله يبشره بالجنة، ومن مات كافرًا أو مشركًا أو مصرًّا على كبيرة من الكبائر، دون توبة صادقة، فإن مصيره النار، وهذا واضح في آيات بينات منها:

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

ومن يعتقد بهذا الاعتقاد، لا شك سينعكس على سلوكه؛ فيكون حذرًا من ارتكاب المعاصي التي قد تؤدي به إلى النار، وهذا الاعتقاد يخالف اعتقاد المُرجِئَة والحَشَوِيَّة، ومنْ تابعهم الذي يقول: إن الله قد يخلف وعيده، وإن المسلم إذا نطق بالشهادتين فقد ضمن الجنة «وإن

(١) انظر مشارق أنوار العقول للشيخ السالمي، والحق الدامغ للشيخ الخليلي.

زنى وإن سـرق»، أو ارتكب كبيرة غير الشرك، إنه إذا قامت القيامة، فإما أن تغلب حسناتُهُ سـيئاتِهِ، وإما أن يغفر له الله ذنوبه بمشيئته، أو يشفع له النبي ﷺ أو أحد أقاربه فيدخل الجنة، أو أن الله يدخله النار مدة محدودة، قد تطول أو تقصر ثم يخرجـه منها، بل إن هناك من يعتقد أن النار ستفنَى، وسيخرج منها كل من فيها حتى الكفار.

وهذا الاعتقاد في رأي علماء الإباضيـة مخالف للعقل والنقل، وهو الذي جعل كثيرا من المسـلمين يسـتهترون بأوامر الله تعالى، وجرَّأهم على ارتكاب المعاصي، وجعلهم يعيشون على الأماني، رغم وجود آيات بينات وأحاديث صحيحة تثبت خلود مرتكب الكبيرة في النار إذا لم يتب من معصيته قبل موته، من هذه الآيات قول الله تعالى:

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قـام النبي ﷺ حين أنـزل الله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شـيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية بنت عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئتِ لا أغني عنك من الله شيئا»[1].

(١) رواه مسلم، ج١، ص٤٧١.

فمن يرتكب معصية من كبائر الذنوب ولم يتب منها قبل موته، يعتبره الإباضية منافقًا نِفَاقًا عمليًا، ويسمونه كافرًا «كفر نعمة» وليس «كفر شرك»، ولا يمكن لمرتكب الكبيرة في حال معصيته وإصراره عليها أن يدخل الجنة إذا لم يتب؛ وذلك بنصوص الآيات السابقة وغيرها.

الجانب التشريعي:

مصادر التشريع عند الإباضية اختصرها الشيخ علي يحيى معمر في كتابه: «الإباضية مذهب إسلامي معتدل»؛ وهي: القرآن والسنة والإجماع والقياس، والاستدلال، ويندرج تحته الاستصحاب والاستحسان والمصالح المرسلة، وبعض علماء الإباضية يطلقون على الإجماع والقياس والاستدلال كلمة: «الرأي»، فيقولون: إن مصادر التشريع هي القرآن والسنة والرأي، وبسبب ذلك أخطأ بعض ممن كتب عنهم فظن أنهم ينكرون الإجماع[1]، وقال متحدثًا عن الفقه عند الإباضية مقارنا بينه وبين المذاهب الأخرى: «مكان الإباضية في هذا الباب ربما كان في الشريحة التي تقع بين أهل الظاهر والحنابلة من جهة والحنفية من جهة أخرى، ورغم أن المذهب الإباضي نشأ في العراق، إلا أنه لم يذهب مع الرأي إلى المذهب الذي بلغه الحنفية والمعتزلة، ويكفي لإيضاح هذه النقطة أن يعرف القارئ الكريم أن

(١) علي يحيى معمر، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ص ٢٧.

الفقه الإباضي يعتمد من حيث الأدلة بعد القرآن الكريم في مجال السنة على المتواتر والمشهور أو المستفيض وعلى الآحادي، وعلى مرسل الصحابة والتابعين، وإذا تعارض الحديث والقياس رجح جانب الحديث ولو كان آحاديا أو مرسلا للطبقة السابقة، ولا يرد الحديث الآحادي إلا إذا صادمه دليل قطعي، ويقولون بالقياس والاستصحاب والمصلحة المرسلة على التفاصيل والمناقشات الطويلة المعروفة في كتب أصول الفقه»[1].

ومن القواعد التي بنى عليها الإباضية الأحكام الشرعية:

١ - إذا تعارضِ قول الرسول ﷺ وعمله، ولا يمكن الجمع بينهما، فالقول أقوى لأنه أساسا موجه إلينا أما عمله فيحتمل الخصوصية، ومن أمثلة ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أصبح جنبا أصبح مفطرا» يعارضه الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة أنه كان يصبح جنبا وهو صائم، فالإباضية يرجحون رواية أبي هريرة بناء على هذا الأصل، وهو الأحوط، أما غيرهم فيأخذون بحديث أم المؤمنين عائشة في البخاري، وهو عمل النبي ﷺ.

٢ - كل أمر مختلف فيه لا يعتبر من السنة عند الإباضية، فالأعمال التي صدرت عن رسول الله ﷺ في بعض العبادات لسبب عارض، أو فَعَلَهَا ولم يَعُدْ إليها، أو لم يثبت أنه داوم عليها، لا

---

(١) علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص٣٢٥، نشر جمعية التراث، الجزائر، الطبعة الرابعة ٢٠١٤م.

يعتبرونها سنة، وإنما يَرَوْنَها واقعة حال يمكن الإتيان بها في ظروف مشابهة فقط، ومنها: القنوت في الصلاة، ورفع الأيدي عند التكبير، والجهر بكلمة آمين بعد الفاتحة، فهذه الأعمال إما أنها وردت فيها روايات مختلفة، أو أن الرسول لم يداوم عليها دواما يجعلها يصل إلى مرتبة السنة الثابتة.

٣ ـ مبدأ الاحتياط، وهو من المبادئ التي التزم بها الإباضية في العبادات والمعاملات منذ القرون الأولى، فكان سلف الإباضية يحتاطون في أمور الصلاة عامة، وفيما يتعلق بالطهارة التي هي أساس الصلاة خاصة، ومن أجل هذا المبدأ فقد وصفهم بعض مخالفيهم بالتشدد في الدين، وخصوصا فيما يتعلق بالطهارة للصلاة، والشواهد على هذا كثيرة في الفقه الإباضي، يقول الشيخ أحمد الخليلي: «واعلم أن مسلك أصحابنا في الصلاة الاحتياط بعدم الأخذ إلا بالروايات التي لا يحوم حولها أي ريب في المسائل المختلف فيها؛ لأن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام الذي يلي العقيدة مباشرة، والمحققون من العلماء على اختلاف مذاهبهم لا يقبلون الحديث الآحادي كحجة في المسائل الاعتقادية، لعدم إفادته القطع، فكانت الصلاة المجاورة للعقيدة في الترتيب حَرِيَّة بالحيطة، على أن من العلماء من قال في صلاة أصحابنا: إنها ثابتة بالإجماع، لأن ما يتركونه من الأعمال فيها مختلف فيه عند غيرهم»[1].

---

(١) أحمد بن حمد الخليلي: الفتاوى، (الكتاب الأول) ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

٤ ـ الجمع بين النص والعقل، يقول الشيخ أحمد بن حمد الخليلي: «وإن من يمعن نظره في التراث الإباضي الفكري ـ متجردا عن العوامل النفسية والمؤثرات الوراثية ـ يدرك كل الإدراك أن الإباضية أكثر فئات هذه الأمة اعتدالًا وأسلمها فكرًا، وأقومها طريقًا، وأصحها نظرًا، وأصفاها موردًا ومصدرًا؛ فهم لم يلقوا بالعقل في زوايا الإهمال؛ لأن الله خاطب بوحيه أولي الألباب، ونعى على قوم لا يستخدمون عقولهم في فهم الحق ودرك الحقيقة، ونادى عليهم بالخذلان، وسجل عليهم بالخسران، كما هو واضح في كثير من آيات الفرقان، غير أنهم لم يرفعوا العقل فوق مستواه، ولم يعطوه أكثر مما يستحق فلم يؤثروه على النص، وإنما جعلوه وسيلة من وسائل فهم مراده، وتعيين مقاصده، قطعًا أو ظنًا، وهم في كل ذلك ينطلقون من فَهْمٍ عميقٍ للغة النص التي تستخدم تارة في حقيقتها وأخرى في مجازها، حسبما تقتضيه أصولها، مراعين في ذلك جميع القرائن والأحوال التي تعين على تشخيص المراد»[1].

الجانب السياسي:

رئاسة الدولة الإسلامية (الخلافة) ليست مقصورة على قريش أو العرب وإنما يراعى فيها الكفاية المطلقة، فإن تساوت الكفايات كانت القرشية أو العروبة مرجحا، ولهذا رد الإباضية الرواية التي تقول إن

---

(١) أحمد بن حمد الخليلي، مقدمة البعد الحضاري، ص١٢ ـ ١٣، تأليف الدكتور فرحات الجعبيري.

«الإمامة من قريش»، وكانت الإباضية من أوائل الفرق التي عارضت الحكم الأموي، في الوقت الذي عاشت فيه بعض المدارس الفكرية الأخرى في ظل الدول المتعاقبة على بلاد المسلمين.

يرى الإباضية ضرورة أن يكون للمسلمين إمام عادل، يكون من أصحاب الكفاية والنزاهة، ويتم اختياره عن طريق الشورى، وباتفاق أغلبية أهل الحل والعقد، وهو الذي يجب بيعته والسمع والطاعة له، كما كان في عهد الخلفاء الراشدين، أما إذا انتفى العدل في الحكم، وتحولت الخلافة إلى ملك عضوض، جاز الخروج على الحاكم الظالم إذا توفرت شروط معينة، يقول الشيخ علي يحيى معمر:

«الخروج على الإمام الجائر ليس واجباً كما تقول الخوارج، وليس ممنوعاً كما تقول الأشاعرة ومن معها، وإنما هو جائز يترجح استحسان الخروج إذا غلب على الظن نجاحه، ويستحسن البقاء تحت الحكم الظالم إذا غلب على الظن عدم نجاح الخروج، أو خيف أن يؤدي إلى مضرة تلحق المسلمين أو تضعف قوتهم على الأعداء في أي مكان من بلاد الإسلام»[1]، ويقول أيضا:

«الإباضية يعتمدون على الدعوة والإقناع، ولا يلجؤون إلى استعمال العنف إلا في حالات الدفاع؛ ولذلك لم يشتركوا في أي عمل من أعمال العنف التي قام بها الخوارج والشيعة والتوابون وابن الزبير وابن الأشعث وغيرهم ضد الدولة الأموية، رغم إنكارهم

(١) علي يحيى معمر، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، ص٢٣.

الشديد على حكام الدولة الأموية ونقدهم العنيف لسلوكهم المنحرف عن الكتاب والسنة.

وقد حاول زعماء الخوارج استدراج عبد الله بن إباض للخروج معهم فامتنع وأخبرهم بأنه لا يخرج على قوم يرتفع الأذان من صوامعهم، والقرآن من مساجدهم.

وأول حركة عنف قام بها الإباضية ـ وأسبابها دفاعية ـ هي تلك التي قام بها طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي في اليمن. قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة في الجزء الخامس، ص١٠٦ما يلي: «فرأى باليمن جورا ظاهرا وعسفا شديدا وسيرة في الناس قبيحة، فقال لأصحابه: إنه لا يحل لنا المقام على ما نرى، ولا الصبر عليه، وكتب إلى جماعة من الإباضية بالبصرة وغيرها يشاورهم في الخروج، فكتبوا إليه إن استطعت ألا تقيم يوما واحد فافعل، وأسباب تلك الحركة ونتائجها معروفة مفصلة في كتب التاريخ والأدب، ولعلها أول حركة عنف وآخرها، قام بها الإباضية ضد مخالفيهم فتجاوزوا منطقة الدفاع عن النفس[1]، وقد حرصوا في تلك الحركة على أن لا يسفكوا قطرة من دم امرئ مسلم بغير حقٍّ، وأن لا يخيفوا آمنا، ولا يتعدَّوا على عِرض مسلم أو ماله إطلاقا، ولم يكن هدفهم غير تنحية الظلم والطغيان.

أما الرأي السائد عند المذاهب الأربعة من أهل السنة فهو عدم جواز الخروج على الحاكم ولو كان جائرًا أو ظالمًا، واعتمدوا على

---

(١) علي يحيى معمر، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، ص٢٢.

رواية وجوب السمع والطاعة للحاكم وإن جُلِدَ الظهرُ وسُلِبَ المال، ولم يتغير هذا الرأي عند بعض علمائهم إلا بعد قيام الثورات الشعبية على الظلم والاستبداد في بعض البلاد الإسلامية.

ونتيجة لمواقف وآراء الإباضية التي لم تكن لتروق لحكام وأمراء الأمويين والعباسيين ومن سار في ركابهم من العلماء، حورب الإباضية في القرون الأولى حربًا فكرية وعسكرية، فأُطلق عليهم لقب الخوارج، ونُسِبوا إلى أهل البدع من قبل المحدثين، وسُجن أئمتهم، واضطُهد كثير من أتباعهم، مما اضطرهم إلى الابتعاد عن مراكز السياسة والحكم، وانتشروا في المشرق والمغرب، حيث أقاموا دولاً خاصة بهم حكمت بالعدل والشورى في أطراف العالم الإسلامي، كعُمان وليبيا والجزائر.

الجانب السلوكي:

يتمسك الإباضية بجميع أنواع السلوك والأخلاق التي أمر بها الإسلام، ومن مظاهر ذلك:

١ ـ يرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب في الحدود التي بيَّنها الحديث الشريف.

٢ ـ يرون أن محبة المسلمين في الله من أَجْل طاعتهم، وبُغْضَ العصاة والكافرين من أجل معصيتهم واجب على كل مسلم، وأن هذه المحبة يجب أن تتوجه إلى جميع أولياء الله في جميع الأزمنة والأماكن على الإجمال، وأن يقصد إلى من ثبتت ولايتهم لله بالاسم

أو بالصفة ممن مضى، وأن يتعامل مع الحاضرين ممن يعرفهم على هذا الأســـاس، كما يجب أن يبرأ من الكافريـــن والعصاة في جميع الأزمنة والأمكنة هكذا على الإجمـــال، وأن يقصد ببراءته من عُرف بالاسم أو بالصفة، وأن يتعامل مع الحاضرين ممن يعرفهم على هذا الأســـاس، أما من عرفهم في زمانه ولم يعـــرف أحوالهم من الطاعة والمعصية فيجب عليه أن يقف فيهم، لا يتولاهم ولا يبرأ منهم حتى يعرفهم بيقين؛ لأن الولاية والبراءة لا تلزمان إلا باليقين أو ما يقرب منه، كالمعرفة الشخصية أو شهادة العدلين، ولا تبطل إلا بيقين[1].

الإنتاج العلمي للإباضية:

ابتدأ التأليف والتدوين عند الإباضية فـــي وقت مبكر، فقد ذكر المؤرخون أن الإمام جابر بن زيد ألَّف ديوانا جمع فيه روايته وآراءه، لكنه ضاع في العهد العباســـي، ثم ألف الرَّبيع بن حبيب مسنده في حوالي منتصف القرن الثاني، حيث جمع فيه رواياته عن شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وهو معتمد الإباضية الأول في الحديث، وهو عندهم أعلى درجة من صحيحي البخاري ومســـلم؛ لأنه ثلاثي الســـند، وكل رجاله ثقات وعدول، ثم ألَّف أبو غانم بشـــر بن غانم الخراســـاني مدونته في الحديث والآثار، جمع فيها أقوال سبعة من فقهـــاء الإباضيـــة الأوائل، وألَّـــف الإمـــام الأول للدولة الرســـتمية

---

(١) علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإســـلامية ص٣٢٦، نشر جمعية التراث، الطبعة الثالثة ٢٠١٤م.

عبدالرحمٰن بن رستم تفسيراً للقرآن، وهو مفقود، وألَّف هود بن محكم الهواري أيضا تفسيراً للقرآن، كل هذا كان في القرنين الأول والثاني، ثم توالى التأليف بعد ذلك في مختلف العلوم الإسلامية. يقول الشيخ علي يحيى معمر:

«ولعله لو قام باحث بإحصاء جميع الكتب التي ألَّفها الإباضية، واستخرج نسبتها المئوية إلى عددهم، ثم فعل مثل ذلك في بقية المذاهب، ثم قارن بين نسب الجميع لوجد نسبة الإباضية من أعلى النسب إذا لم تكن أعلاها، وقد ضاع منها الكثير للملاحقة السياسية التي لم تتوقف ـ في أي زمان ـ عن مطاردتهم ومضايقتهم بشتى الأساليب والصور، تبلغ أحياناً إلى حرق الكتب والمكتبات، وفي أحيان كثيرة تكون أصابع الفقهاء المتعصبين وراءهم أجهزة السلطة تحركها لإلحاق الأذى بمخالفيهم، وإلى الآن لا تزال أكثر كتب الإباضية وأهمها مجهولة حتى عند الإباضية أنفسهم فضلا عن غيرهم»[1].

إمامات إباضية:

في الوقت الذي كان فيه علماء الحكم العباسي مشغولين بقضية خلق القرآن، والفرق بين السنة والبدعة، ومحاربة خصومهم، كان الإباضية قد أقاموا دولا في المشرق والمغرب، حكمت بالعدل والشورى ردحًا من الزمن، إلى أن قضى عليها طمع الطامعين وظلم

(١) علي يحيى معمر، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، ص١٠.

الظالميـن، لكن ذلـك التاريخ الناصـع للإباضية غُيِّـب عن الأمة الإسلامية منذ القرون الأولى، وأُشغلت الأمة بمحاربة خصومها من الخوارج والمعتزلة فكريًا وعسكريًا، حتى استقر في أذهان الناس أن الحق المطلق والإسـلام الصحيح هـو ما يدين به هـؤلاء الحكام وأتباعهم من علماء السلاطين.

وفي تلك القرون أقام الإباضية عدة إمامات في المغرب والمشرق شـهد لها التاريخ بالعدل والشـورى، ولكن بعضها لـم يُكتَب لها الاسـتمرار؛ لمحاربة العباسـيين لها حربًا لا هوادة فيها، بينما دام بعضها أكثر من مائة سنة، من هذه الإمامات:

١ ـ إمامة في اليمن وحضرموت دامت سـنتين (١٢٩هـ ـ ١٣١هـ) بقيادة عبدالله بن يحيى طالب الحق، أحد تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، قام بها خير قيام، فأحسن السيرة وعدل بين الرعية.

٢ ـ إمامة في ليبيا بقيـادة أبي الخطاب المعافـري، دامت أربع سنوات، بايعه فيها أهل طرابلس وضواحيها سنة ١٤٠هـ (٧٥٧م)، على أن يحكم بما أنزل الله وبسنة رسـوله ﷺ، فلما قبل البيعة طلب من الوالي العباسـي ـ الذي كان ضعيفا ـ بأن يخرج معززا مكرما، فغادر إلى بغداد، ثم دخل أبو الخطاب وأتباعـه مدينة طرابلس بلا حرب، فدانت له البلاد طائعة مختارة، وشـاع عنه الرفق بالرعية والعدل في الحكم بين الناس، فعَظُمَ شأنه فيهم، وامتد سلطانه شرقًا إلى (سرت)، وغربًا إلى (القيروان)، وجنوبًا إلى (فزّان). من أهم أعماله: إنقاذ مدينة (القيروان) من ظلم قبيلة (ورفجومة)، كما هو مفصل في كتب التاريخ.

لكن هـذه الدولة الوليدة لـم يكتب لها البقاء طويـلا، فالحاكم العباسي في بغداد لم يُرضِه عزل واليه، ولم يُرضِه أن تستقل منطقة عن حكمه، فأرسل لها عدة جيوش محاولًا القضاء عليها، وكان جيش أبي الخطاب ينتصر عليه في كل مرة، ثم أرسـل له جيشا كبيرا التقى معه بمدينة «تاورغا» حيث استشهد أبو الخطاب، وتفرق من بقي من جيشه.

٣ ـ الدولة الرستمية: بعد موت أبي الخطاب، واستيلاء العباسيين على (القيروان)، التجأ عبدالرحمٰن بن رسـتم ومن معه إلى تيهرت، بجنوب غرب الجزائر، وهناك بايعه أتباعه سنة ١٦٠هـ إمامًا على الحكم بشرع الله وسنة رسوله، وكانت بيعته بداية الدولة الرستمية التي دامت حوالي مائة وثلاثين سنة، تعاقب عليها ستة أئمة هم: عبدالرحمٰن بن رسـتم، أحد طلبة العلم عند أبي عبيدة، وبعد وفاتـه بايع الناس ابنه عبدالوهاب، ثم ابنه أفلح بن عبدالوهـاب، ثم أبو بكر بن أفلح، ثم أبو اليقظان، ثم أبو حاتم، وكان أئمتها يتمتعون بقسط وافر من العلم مع ورع وتقوى، واشتغل أكثرهم بالتدريس وبعضهم بالتأليف[1].

وسار أئمة الدولة الرسـتمية على نهج الخلافة الرشيدة، فعملوا على تطبيق أحكام الإسلام، ونشر العدل، وازدهرت حينا من الزمن، اقتصاديًا وسياسـيًا، واجتماعيًا، إلى أن دَبَّ إليها داء الأمم، فقضى عليها الفاطميون سـنة ٢٩٦هـ، وكانت البـلاد التابعة لها تتمتع بكل أنواع الحرية والعدالة والاسَتقرار التي كفلها الإسلام.

---

(١) ينظر: علي يحيى معمر، الإباضية في الجزائر، وكذلـك، بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية.

ومع ما تميزت به الدولة الرستمية من إقامة العدل وحسن السيرة، لكن أغلب كتّاب التاريخ الإسلامي، بما فيهم ابن خلدون، تجاهلها، ولم يكتب عنها إلا القليل، ومن كتب عنها فقد كتب على استحياء. ومن المؤسف أن يشهد التاريخ بأن كثيرا من المستشرقين ـ رغم عداوتهم للإسلام ـ أنصفوا الإباضية أكثر من أبناء جلدتهم، فالباحث يجد كتبا كثيرة، ألفها مستشرقون، وبلغات مختلفة تتحدث عن الدولة الرستمية بكل أمانة علمية، ولا يكاد يوجد باحث مسلم منصف من غير الإباضية تجرد من تعصبه المذهبي ورأيه الفقهي، فكتب بكل إنصاف عن الإباضية إلا ما ندر[1].

بعد نهاية الدولة الرستمية، أنشأ الإباضية في المغرب ما يسمى بـ «نظام العزّابة» وهو نظام اجتماعي علمي تربوي، هدفه نشر العلم وتربية النشء، وحماية المجتمع من الانحراف، وكذلك إدارة شؤون المجتمع الإباضي، ولا يزال هذا النظام معمولا به في قرى وادي ميزاب بالجزائر.

٤ ـ الإمامة في عُمَان: قامت في عُمَان عدة إمامات متقطعة، أولها كانت في سنة ١٣٢هـ حين بايع أهل عُمَان الجلندَى بن مسعود، دامت هذه الإمامة سنتين، ثم قضى عليها العباسيون، فخضعت عُمَان للحكم

(١) لمزيد من أخبار الدولة الرستمية وتاريخها، ينظر: تاريخ ابن الصغير المالكي، الذي عاصرها وعاش فيها، وكذلك «الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية»، للمجاهد سليمان باشا الباروني، و«تاريخ المغرب الكبير» للشيخ محمد علي دبوز، وآخر الأبحاث التي نشرت عنها بحث ماجستير للدكتور إبراهيم بحاز، بعنوان: «الدولة الرستمية».

العباسي إلى سنة ١٧٧هـ، ثم ثار الإباضية ضد الوالي العباسي، وبايعوا الإمام محمد بن عفان، ثم الوارث بن كعب الخروصي، ثم غسان بن عبدالله اليحمدي، ثم عبدالملك بن حميد العلوي، ثم المهنا بن جيفر اليحمدي، ثـم الصلت بن مالـك الخروصي، ثم راشـد بن النضر اليحمدي، ثم عزان بن تميم الخروصي.

استمرت هذه الإمامة حوالي مائة سنة، اسـتقرت فيها الأحوال وانتشـر فيها العلم والعدل والرخاء، وفي عهد الإمام عزان بن تميم انقسمت عُمَان انقسامًا قَبَلِّيًا إلى قحطانية وعدنانية أو يمنية ونزارية، وكان من نتيجة الانقسام استنجاد بعض القبائل بالدولة العباسية التي وجدت الفرصة سانحة للعودة إلى عُمَان والاستيلاء عليها مرة أخرى، لكنَّ العُمَانيين استطاعوا إقامة إمامات منفصلة عن الدولة العباسية في أماكن بعيدة عن نفوذهم.

واستمرت الإمامة متقطعة عدة قرون بين مد وجزر تتصل أحيانا وتنقطع أحيانا أخرى إلى آخر العهد العباسي، ثم انقسمت عُمَان مرة أخرى نتيجة العصبيـة القبلية، ومع ذلك لم تخـلُ تلك الفترة التي امتدت لقرون من علماء عاملين، وأئمة صالحين قاموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العلم، كما تم فيه بيعة عدة أئمة في أوقات متفرقة، واستمرت عُمَان على تلك الحالة إلى أن توحدت في عهد السلطان سعيد بن تيمور[1].

(١) لمزيد من التفاصيل: انظر: تحفة الأعيان بتاريخ عُمَان لنور الدين السـالمي، أو الوسيط في التاريخ العُمَاني، لأحمد بن سعود السيابي.

الخلاف بين الإباضية وغيرهم:

إن أصل الخلاف بين الإباضية وغيرهم من بقية الفِرَق الإسلامية كان في بداياته خلافًا سياسيًا، قبل أن يكون خلافًا فقهيًا أو عقديًا، وقد تمثل في الخلاف المتعلق بمفهوم الخلافة، ترتب عليه عدم اعتراف الإباضيـة بالدولة الأموية، والعباسـية وما بعدهما مـن الدول التي اعتبرت نفسـها ممثلة للخلافة الإسـلامية، بينما اعترفت بشرعيتها مذاهب أهل السنة، وعاشـت تحت ظلها، وقد نتج عن ذلك محاربة الفكر الإباضي منذ نشأته في القرن الأول الهجري، واعتبار الإباضية فرقة من فرق الخوارج من قبل المؤرخين، ونسـبة الإباضية إلى أهل البدع والأهواء عند المحدثين، فلم تُقبل آراؤهم، ولم يؤخذ بفقههم، واكتفت الدول المتعاقبة على حكم بلاد الإسـلام على فقه المذاهب الأربعة، ورفضت كل رأي جاء به من خالفهم من الإباضية والمعتزلة والخوارج والشيعة، ونتيجة لهذا التقسـيم تكونت لكل فرقة مبادئ وأصول بنت عليها فكرها، وفقهها وتاريخها، وعاشت الأمة ولا تزال منقسمة تفرقة متخاصمة؛ حتى يُسَخِّر الله لها من يجمعها على الحق.

دور الإباضية في نشر الإسلام:

أسهم الإباضية في نشر الإسـلام في كثير من البلدان الإفريقية، فقد كان للحركة التجارية بين عُمَان وشرق إفريقيا دور كبير في نشر الإسلام في بعض الدول مثل: تنزانيا، وزنجبار، وبورندي، ورواندا، وغربي كينيا، وغربي وجنوب أوغندا، وجنوب الصومال وجزر القمر،

وغيرها، كما توضح المصــادر، ويثبته وجود جاليات عُمَانية لا تزال تسكن تلك المناطق.

كما ســاعد عامل الجوار مع الهنــد التجار العُمَانيين في نشــر الإســلام فيها عن طريق أخلاقهم العالية، ومعاملتهم الحســنة، ولم يقتصر العُمَانيون على الهند، بل إنهم تجاوزوها إلى إندونيسيا وجزر المالاوي والصين، فقد عرف إباضية عُمَان بــلاد الصين منذ القرن الثاني الهجري، وذلك عن طريق التجار العُمَانيين الذين أبحروا في اتجاه الصين، وتورد المصادر أن أول من وصــل الصين من الدعاة التجار الإباضية هو أبو عبيدة عبد الله بن القاسم، الملقب بأبي عبيدة الصغير، وقد وصل إلى ميناء (كانتون) حوالي ١٣٣هـ. وتعتبر رحلته من أقدم رحلات العرب إلى بلاد الصين إن لم تكن أولها[١].

كما أن الشماخي[٢] يذكر في «سِــيَرِهِ» عالماً إباضيا آخر وصل

---

(١) د. نايف السهيل. الحضارة العربية الإسلامية ص ٨٠.

(٢) الشماخي: أبو العباس أحمد بن سعيد، عالم مؤرخ من بلدة (يَـفْرَن) بجبل نفوسة، من أبرز مشايخه، أبو عفيف صالح بن نوح التندميرتي، اشتهر بالتأليف، فصنف في عدَّة علوم، من أشــهر كتبه: «سير المشايخ»: جمع فيه ســير أبي زكريا، والمزاتي، والوســياني، والبغطوري، وطبقات الدرجيني، وجواهر البــرادي، فكان كتابه هذا جامعا شاملا لأشــياخ الإباضية في المغرب، حقَّقه الأســتاذ محمَّد حسن، نال به شــهادة الماجســتير، ومن مؤلفاته أيضا إعراب القرآن الكريم، ومشكل الدعائم، وشرح عقيدة التوحيد ومختصر العدل والإنصاف، وشرح مرج البحرين، وغيرها، وله كتب أخرى مفقودة ورسائل متفرقة، من تلاميذه المشهورين أبو يحيى زكريا بن إبراهيم الهواري، توفي (بجربة) سنة ٩٢٨هـ وقبره معروف بحومة «تِيواجِين».

هذه الديار وهــو النضر بن ميمون، ويقول عنه: إنــه كان من خيار التجار المسلمين[١].

وفي المغرب الإسلامي كان للإباضية دور مهم في نشر الدعوة الإســلامية عن طريق الدعاة التجار في كثير من بلدان غرب إفريقيا كمالي وغانا، وذلــك في القــرن الثالث الهجري فــي عهد الدولة الرستمية وبعدها، وقد أشار إلى ذلك الشماخي في السير، حيث ذكر أســماء مجموعة من العلماء ممن كان لهم دور في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، كما ذكر قصة إسلام أحد ملوك طائفة في غانا على يد الداعية علي بن يخلف التميجاري[٢]. وقد أكدت الزيارات التي قام بها بعض الدعاة في الســنوات الأخيــرة إلى غــرب أفريقيا وجود مجتمعات إباضية في هذه الدول وما جاورها.

تلك هي نبذة مختصرة عن المذهب الإباضي، نشأته وخصائصه، ومما ســبق يتبين للقارئ المنصف أن الإباضية ليست مجرد مذهب فقهي يختلف مع غيره من المذاهب فــي قضايا معينة، وليس مذهبًا عقائديًا، يخالف عقائد بقية المســلمين، وليس فرقةً خارجيةً انشقت عن المسلمين، وإنما يمكن القول إن الإباضية في أصلها كانت حركة إسلامية رائدة تسعى إلى أن تعيد المسلمين إلى فكر الخلافة الراشدة ومنهج المهاجريــن والأنصار، لكــن الحرب الإعلاميــة والفكرية

---

(١) السير ج١، ص٩٠.

(٢) الشماخي، السير، ص٤٥٦.

والعسكرية التي شنها عليها الأمويون والعباسيون، أرغم أتباعها على أن يلجؤوا إلـــى أماكن بعيدة عن مراكز الحكم، واســتطاعوا تكوين مجتمعات خاصة بهم في مناطق متفرقة من العالم الإسلامي، تتوسع رقعتهـــا أحيانا، وتضيق أحيانا أخرى، لكنهم لا زالوا يعيشـــون على نفس المنهج والفكر منذ القرون الأولى وإلى أن يشاء الله.

وفي الفصول التالية سيتعرف القارئ على سلسلة العلماء الذين انتقل على أيديهم هذا الفكر منذ نشـــأته إلـــى وقتنا الحالي، والذين كانوا على درجة عالية من التقوى والعلم والعمل الصالح.

* * *

الفصل الثاني

نسب الدين في المغرب

من خلال تتبعي لكتب التاريخ التي اطلعتُ عليها وجدتُ أنه أول من كتب في نسَب الدين عند إباضية المغرب، هو الشيخ مقرين بن محمد البغطوري النفوسي، من بغطورة بجبل نفوسة، وهي قرية من قرى الحرابة بليبيا، أخذ العلم عن أبي محَمَّد عبدالله بن محَمَّد المجدلي، وأبي يحيى توفيق بن يحيى الجنّاوني، كان شيخًا عالمًا فقيهًا، وصفه الشماخي في سيره بأنه أحد الأشياخ الذين تمسّكوا بالعلم وأتموا بالعمل واتبعوا الطريق، ألّف في الفقه، وألّف كِتَاب «سير أشياخ جبل نفوسة»، اعتنى فيه بتراجم مشايخ جبل نفوسة قبل القرن السادس الهجري، وقد انتهى من كتابه[1] بحضور شيخه أبي يحيى توفيق بن يحيى الجناوني سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٣م.

---

(١) الكتاب قيد التحقيق، وسيصدر قريبا بتحقيق الشيخ عمر لقمان أبو عصبانة، كان الكتاب مفقودًا إلى عهد قريب حتى عثر عليه الشيخ سالم بن يعقوب (توفي سنة ١٩٩١) في مكتبة دار العلوم المصرية فنسخة بخط يده ثم نسخه ابنه، محمود مرة أخرى، وهي النسخة التي اطلعت عليها، ويبدو أنها ناقصة، لكن الشيخ عمر لقمان يقول إنه عثر على نسخ أخرى في وادي ميزاب.

وقد نسَب الدين من شيوخه إلى النبي ﷺ إلا أن هذا النسب لم يورده من ضمن هذا الكتاب، ولعله أفرد له تأليفًا مستقلًا لكن لم أعثر عليه مخطوطا حتى الآن، لكن النص موجود بكامله ضمن «رسالة سلم العامة والمبتدئين في معرفة أئمة الدين» للشيخ عبد الله بن يحيى الباروني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

نسب الدين برواية مقرين بن محمد البغطوري

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد البسملة والصلاة والسلام:

تأملت في تسمية من أخذنا عنه الدين من خلق الله أجمعين، فوجدتهم على الجمع ثلاثة: الملائكة، والأنبياء، والمسلمون، وعلى الانفراد من الملائكة أربعة، ومن الأنبياء ثمانية عشر نبيا، والنبي محمد بعدهم عليه وعليهم الصلاة والسلام، ومن الفقهاء ثلاثين رجلا وامرأة.

أما الملائكة فهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل واللوح المحفوظ.

وأما الأنبياء فهم الذين ذكرهم الله في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ

وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٩]، فقال لنبيه ﷺ فبهداهم اقتده، فاقتدينا نحن بالنبي ﷺ كاقتدائه بالنبيين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

«وأما الفقهاء من أشياخنا الذين أخذنا عنهم هذا الدين فهم ثلاثون رجلا؛ من عبد الله بن العباس بن عم النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وكلهم من نفوسة غير سبعة من غيرهم، وهم: ابن عباس، وجابر بن زيد الآزدي البصري، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو مرداس مهاصر السدراتي، والإمام عبد الوهاب ووالده الإمام عبد الرحمٰن بن رستم الفارسي رضي الله عنهم أجمعين، ثم نذكرهم بأسمائهم من يومنا هذا إلى انتهائهم، فأول ذلك:

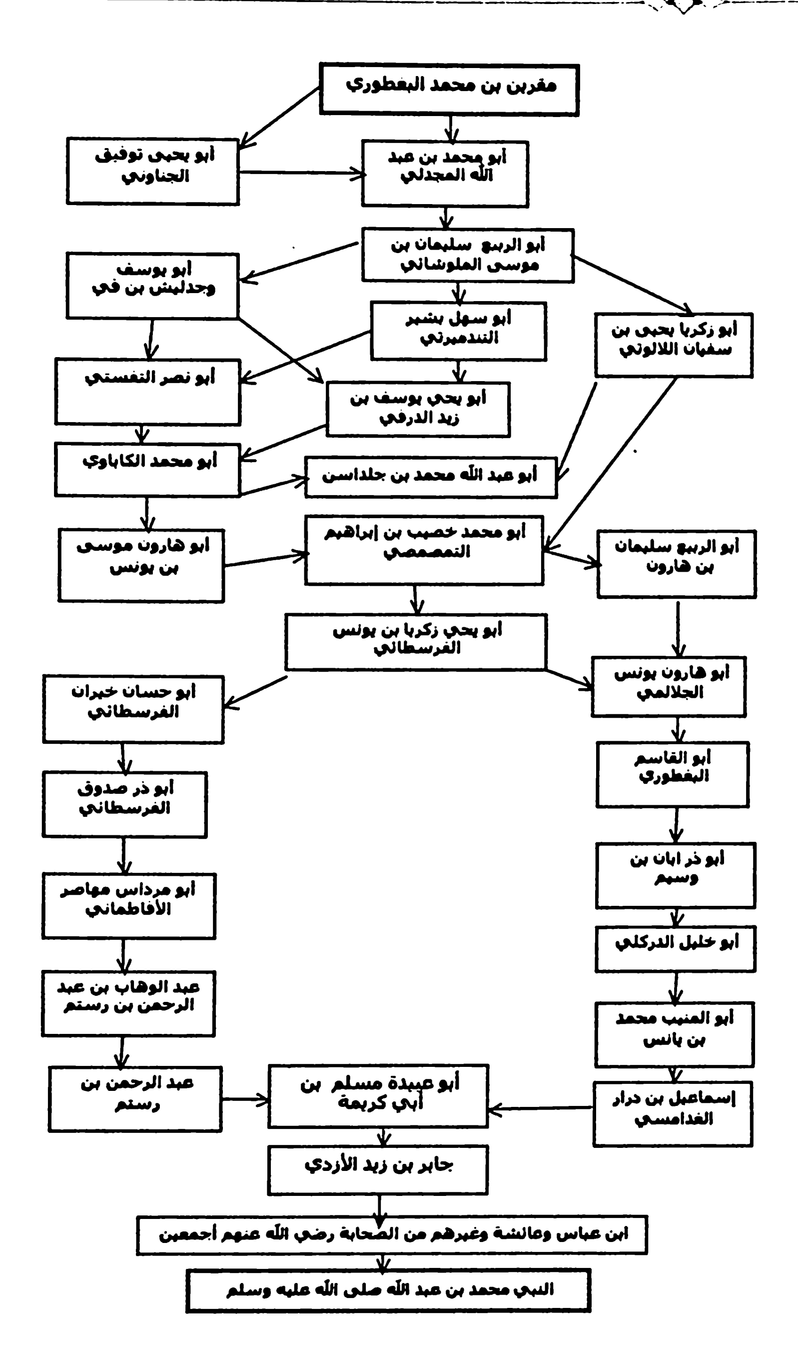
أخذنا ديننا عن الفقيهين أبي محمد عبد الله بن محمد المجدلي، وأبي يحيى توفيق بن يحيى الجناوني، وأخذه أبو محمد عن أبي الربيع سليمان بن موسى الملوشائي الساكن في إبناين، وأخذه أبو الربيع عن [أبي] زكريا بن سفيان اللالوتي، وأبي سهل البشير بن محمد التندميرتي، وأبي يوسف وجدليش بن في، ثم افترقت النسبة هنا فيما قال أبو محمد، وأخذه أبو سهل وأبو يوسف عن أبي يحيى يوسف بن زيد الدرفي، وأبي نصر زار بن يوسف من ناحية تفست،

وأخــذه أبو يحيى وأبو نصــر، عن أبــي محمد الكبــاوي، وأخذه أبو محمد عن أبي هارون موســى بن يونس، وأخذه أبو هارون عن أبي محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي، وأبي عبد الله محمد بن جلداســن اللالوتي، وقال لهم أني التقطته، يعني أخذه من شــيوخ شــتى، وأخذه أبو محمد عن أبي يحيى زكريا بن يونس الفرسطائي وأبي الربيع ســليمان بن هارون اللالوتي، وأخــذه أبو يحيى وأبو الربيع عن أبي هارون بن يونس الجلالمي، وزاد أبو يحيى في النسبة أبا حسان خيران بن ملال الفرسطائي.

ثم افترقت النسبة ها هنا أيضا، فأخذه أبو حسان عن أبي يونس ابدين الفرسطائي، عن أبي ذر صدوق الفرسطائي، وأخذه أبو ذر عن أبي مرداس مهاصر الســدراتي الســاكن بتبرســت، وأخذه أبو مرداس عــن الإمام عبد الوهاب بــن عبد الرحمٰن الفارســي، وأخذه عبد الوهــاب عن أبيه عبد الرحمٰن، وأخــذه عبد الرحمٰن عن أبي عبيدة مســلم بن أبي كريمة التميمي البصري.

قال الشــيخ مقرن رَحِمَهُ اللَّهُ ثــم رجعنا إلــى أبي هــارون، وأخذه أبو هارون عن أبي القاســم سدرات بن حســن البغطوري، وأخذه أبو القاسم عن أبي ذر أبان بن وسيم الويغوي، وأخذه أبان عن أبي خليل الدركلي، وأخذه أبو خليل عن أبــي المنيب محمد بن يأنس الدركلي، وأخــذه أبو المنيب عــن أبي الزاجر إســماعيل بن درار الغدامسي، وأخذه إســماعيل عن أبي عبيدة مسلم، ثم اجتمعوا في النسبة هنا، جمع الله بيننا وبينهم الجنة آمين.

وأخذه أبو عبيدة عن أبي الشـعثاء جابر بن زيد الأزدي، وأخذه جابر عن عبد الله بن عباس بن عم النبي ﷺ وعائشة أم المؤمنين ﵂، زوجة النبي ﷺ، وأخذ ابن عباس وعائشـة عن النبي ﷺ محمد بن عبد الله رسول رب العالمين، وأخذه محمد رسول الله عن جبرائيل، عن ميكائيل عن إسرافيل، عن اللوح المحفوظ، جمعنا الله بهم في مستقر رحمته ورضوانه آمين. (انظر جدول رقم ١).



جدول رقم ١ شجرة علماء نسبة الدين من مقرين بن محمد البغطوري إلى النبي محمد ﷺ.

نسب الدين برواية محمد بن زكريا الباروني

وفي القرن العاشر الهجري، جاء الشيخ محمد بن زكريا الباروني[١] فنسَب الدين من شيخه أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاتي الجربي[٢] إلى النبي ﷺ، وقد رواه من عدة طرق، وكتبه نثرا

(١) أبو عبد الله محمد بن زكريا بن عبد الرحمٰن بن موسى الباروني، (ت: ٩٩٧هـ/١٥٨٩م) عالم ومؤرِّخ من علماء العائلة البارونية العريقة، نشأ في (يفرن)، بجبل نفوسة، وأخذ بها مبادئ الدين، ثمَّ سافر إلى جربة، ليستزيد من العلوم عند العلّامة أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاتي، ثمَّ توجَّه إلى وادي ميزاب بالجزائر؛ ليأخذ عن الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل في مليكة، (توفي سنة ٩٧١هـ/١٥٦٣م)، عاد إلى وطنه بعد أن صار قدوة في العلم والدين، ونبراسا تشعُّ أنواره في الآفاق، وتفرَّغ للتعليم والتأليف، اشتهر من تآليفه: «سلسلة نسبة الدين» (مط) ملحقا بسير الشَّمَّاخِي، توفي رَحِمَهُ اللهُ شهيدًا مع جماعة من العلماء في إحدى غارات يحيى بن يحيى السويدي على قلعته بيفرن. ينظر: المرجع نفسه، رقم ٨١٦.

(٢) داود بن إبراهيم التلاتي (ت: ٩٦٧هـ/١٥٦٠م)، عَلَمٌ من أعلام جربة بتونس في القرن العاشر الهجري، ولد بمنطقة (تلات) من حومة (قلالة)، وبها حفظ القرآن مبكرا، تعلم على عدة مشايخ في جربة ونفوسة وميزاب، عاد إلى جربة فجلس في مدرسة جامع القصبيين بحومة (قلالة) يعلِّم الناس، أسند إليه علماء الجزيرة رئاسة مجلس العزَّابة بعد وفاة الشيخ زايد بن عمر اللوغ سنة ٩٥٠هـ، وفي عهده تعرضت جزيرة جربة إلى أنواع من الظلم والاستبداد، وإلى هجمات متكررة من قِبَل الإسبان، وأيضا من طرف «درغوث» الحاكم التركي في طرابلس، فكثر فيها النهب والقتل، قام الشيخ التلاتي مجاهدا في سبيل الله، فأنكر المنكر، وقابل درغوث وحاوره، وقال له كلمة الحق، وحمَّله مسؤولية ما حدث بالجزيرة، فسجنه درغوث شهرا، ثمَّ قتله في أوائل شهر جمادى الأولى سنة ٩٦٧هـ/١٥٦٠م، فمات شهيدا رَحِمَهُ اللهُ، وأشهر ما عُرِف من تآليفه: «شرح عقيدة التوحيد» و«شرح متن الآجرومية» في اللغة. اشتهر من تلاميذه: محمد بن زكريا الباروني، وعبد الرحمٰن بن أحمد الحيلاتي. ينظر: المرجع نفسه، رقم ٣٠٦.

وشعرًا، وقد وُجِدت هذه النسبة مُضَافة إلى مخطوطة كتاب «السِّيَر» لأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي[1].

قال الشيخ محمد بن زكريا الباروني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم،

هذه نسبة دين المسلمين واحد عن واحد، ثقة عن ثقة من زماننا إلى نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

الحمد لله الذي هدانا لدينه القويم وثبتنا على صراطه المستقيم، وصلاة على صفيه محمد النبي الكريم، والرضى عن التابعين له بالإحسان والتسليم، فنسأل الله الغفور الرحيم أن يجعلنا وإياهم في دار النعيم.

(وبعد): فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد بن زكريا بن موسى الباروني عفا الله عنه: قد أطال ما يناجيني قلب أن أجمع بعض ما انتهى إليَّ من أسماء المشايخ الذين أُخذ عنهم الدين ثقة عن ثقة واحد عن واحد من أهل جبل نفوسة وغيرهم؛ ليكون المجموع من ذلك مفزعا في مثل هذا الغرض، وإن كان الشيخ مقرين بن محمد البغطوري شفى في ذلك وكفى رحمة الله عليه، فقد بقي من زمانه إلى زماننا هذا؛ لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر المائة السادسة، ونحن الآن قاربنا السبعين من المائة العاشرة؛ لكيلا يخلج الشك بعض الخواص فضلا

---

(١) أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي، تقدمت ترجمته.

عن العوام، فاستخرت الله في ذلك وهو ولي الخيرات، فنسأله أن يجعل ذلك خالصا لوجهه إنه رفيع الدرجات.

قال البغطوري رَحِمَهُ اللَّهُ الذين أخذنا عنهم الدين من خلق الله أجمعين ثلاثة: الملائكة والأنبياء والمسلمون، جبريل وميكائيل وإسرافيل واللوح المحفوظ من الملائكة، ومن الأنبياء ثمانية عشر وذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلى قوله ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ فبهداهم اهتده» [الأنعام: ٩٠]، يعني ـ يا محمد ـ فاقتدينا نحن به كاقتدائه بالنبيين صلوات الله عليهم أجمعين، قال ومن الفقهاء ثلاثون رجلا وامرأة، منهم: ابن عباس، وجابر بن زيد، وأبو عبيدة، وعبد الرحمٰن بن رستم، والباقي من نفوسة. انتهى ملخصا.

ثم ذكر النسبة والاختلاف الواقع فيها، فالآن أذكرها على حسب ما صح عندي من زماننا إلى نبينا محمد خاتم النبيين وإمام الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين».

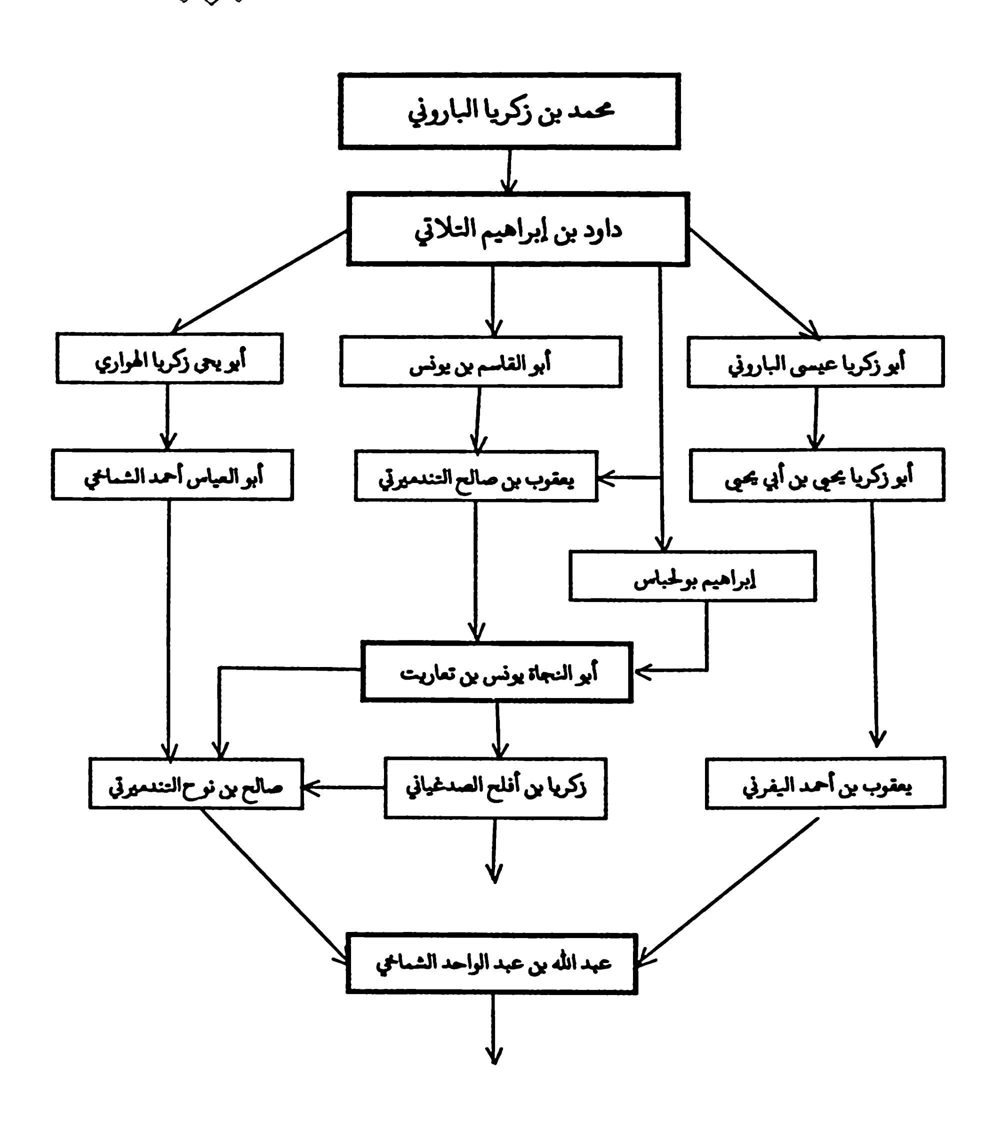
ذكر السند

أخذت ديني أنا وأكثر طلبة زماننا هذا عن الشيخ أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاتي الجربي، وأخذ هو عن شيوخ عدة، وقلت له إلى من تستند؟ فقال: إلى كلٍّ منهم الأول فالأول، قال: أول ما قرأت العقيدة؛ عقيدة التوحيد وغيرها على عمِّنا أبي زكريا بن عيسى الباروني، وأخذ هو عن الشيخ أبي زكريا يحيى بن أبي يحيى الباروني، عن الشيخ أبي يوسف يعقوب بن أحمد اليفرني المديوني

الذي سكن أمسين وفيها توفي وبها قبره، عن الشيخ عمنا عبد الله بن عبد الواحد الشماخي. قال ثم قدمت من نفوسة إلى جربة وقرأت بها عند الفقيه أبي القاسم بن يونس السدويكشي، وأخذ هو عن الشيخ يعقوب (بن) صالح (بن نوح التندميرتي)، عن الشيخ يونس بن سعيد بن تعاريت، عن الشيخ زكريا بن أفلح (الصدغياني)، وأخذ أيضا عمنا يونس عن الشيخ صالح بن نوح التندميرتي النفوسي، الذي سكن جنَّاون، وخلَّف أولاده فيها، منهم عمنا يعقوب[1] - عن عمنا عبد الله بن عبد الواحد، قال ثم قرأت على الشيخ أبي يحيى زكريا بن إبراهيم الهواري وأخذ هو عن الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي عن الشيخ صالح بن نوح المذكور آنفا، قال ثم خرجت من جربة إلى نفوسة فقدمت إجناون فحلَّقت على الشيخ أبي يوسف يعقوب بن صالح، والذي أخذت عنه أكثر من الذي أخذت عن غيره، ثم وقعت مقتلة بين أهل جربة والعرب أولاد شبل، فمات من العرب عدد فخفت، فخرجت من إجناون مع طلبة من أهل جربة وشيَّعَنا الشيخ، ومكثنا مع أعرابي إلى أن قدمنا إلى بقَّالة في جرية عند عمنا إبراهيم بن أحمد من ذرية أبي منصور رَحِمَهُ اللَّهُ، فقرأت عليه ما تيسر من كتب المعقول كالمنطق والبيان. (انظر جدول رقم ٢).

---

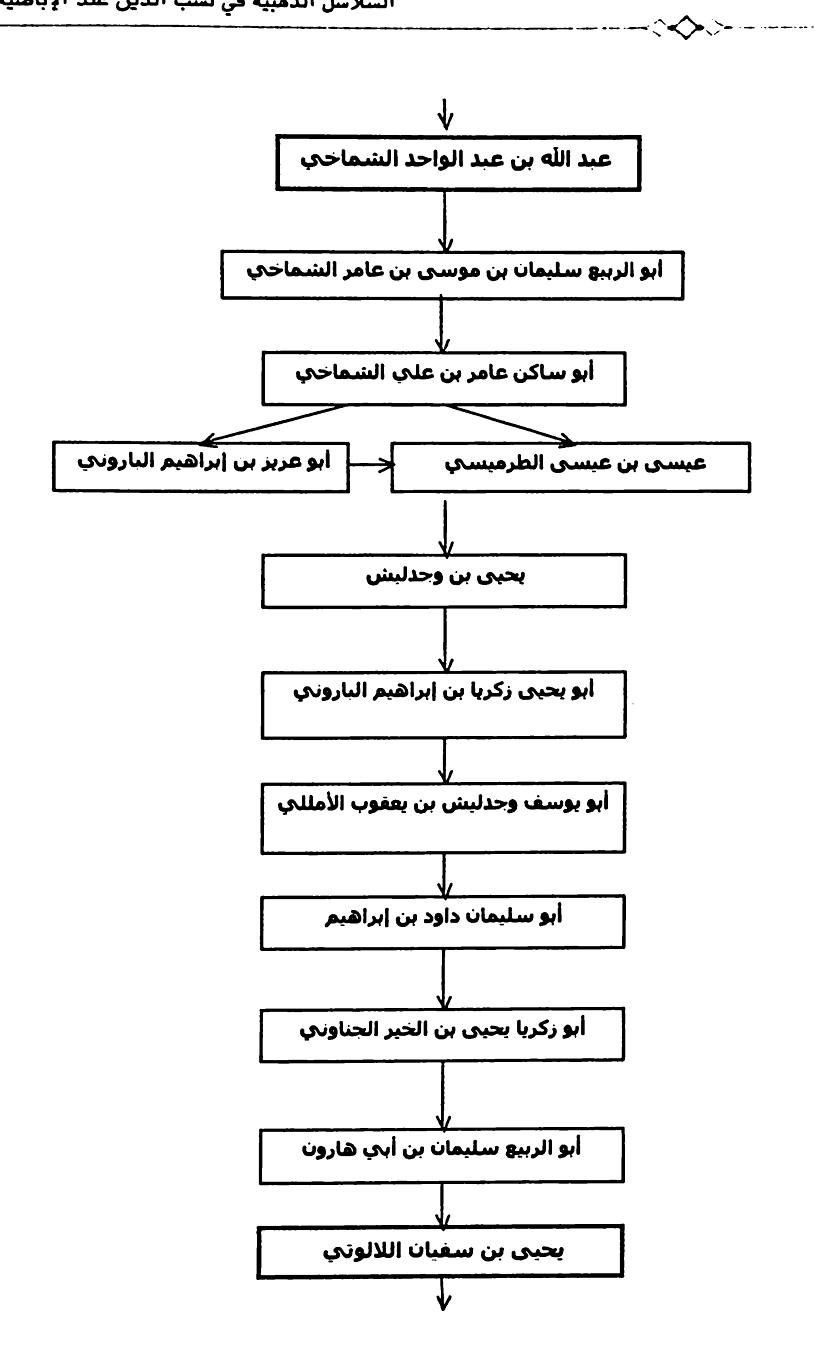
(١) ورد في الأصل: «وخلّف أولاده فيها، منهم عمنا يعقوب، عن عمنا يعقوب عن عمنا عبد الواحد». ويبدو أن جملة «عن عمنا يعقوب»، زائدة ولعلها خطأ من أحد النساخ، فيعقوب بن صالح هو أحد تلاميذ الشيخ يونس بن سعيد، ولا يعقل أن يكون تلميذه وشيخه في نفس الوقت.



جدول رقم ٢ شجرة علماء نسب الدين من الشيخ محمد بن زكريا الباروني (توفي ٩٩٧هـ) إلى الشيخ عبد الله بن عبد الواحد الشماخي (ق٩هـ)

وقرأ الشيخ يعقوب والشيخ إبراهيم على الشيخ أبي النجاة يونس المذكور آنفا عن الشيخ صالح بن نوح عن الشيخ عبد الله بن عبد الواحد الشماخي عن خاله الشيخ أبي الربيع سليمان بن موسى بن عامر، عن جده الشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشماخي، عن الشيخين عمنا عيسى بن عيسى الطرميسي وعمنا أبي عزيز بن إبراهيم الباروني، وعمنا أبو عزيز أخذ عن عمنا عيسى عن الشيخ يحيى بن وجدليش، عن الشيخ أبي يحيى زكريا بن إبراهيم الباروني، عن الشيخ أبي يوسف وجدليش بن يعقوب الأمللي، عن الشيخ أبي سليمان داود بن هارون، عن الشيخ أبي زكريا يحيى بن الخير الجناوني، عن الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون موسى بن هارون الملوشائي الساكن (ابناين)، عن الشيخ عمنا يحيى بن سفيان (اللالوتي)، عن أبي يحيى (زكريا بن يونس) الفرسطائي، عن أبي هارون الجلالمي، عن الشيخ أبي القاسم سدرات بن الحسن البغطوري، عن أبي ذر أبان (بن) وسيم، عن أبي خليل صال من أهل (دركل)، وهي قرية من جبل نفوسة، عن أبي المنيب مامد بن يانس. وهؤلاء كلهم من نفوسة إلا القليل من غيرهم، عن حملة العلم الخمسة: عبد الرحمٰن بن رستم، وعاصم السدراتي، وعبد الأعلى بن السمح المعافري، وداود القبلي وإسماعيل بن درار الغدامسي، عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري، عن جابر بن زيد الأزدي العُماني، عن عبد الله بن عباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابن عبد المطلب، وعن عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق، عن

جماعة الصحابة. وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقيت سبعين رجلا من الصحابة فحويت ما عندهم من العلم إلا البحر، يعني ابن عباس، عن النبي ﷺ ، عن جبريل عن ميكائيل، عن إســـرافيل، عن اللوح المحفوظ، عن ملك الإلهام، عن رب العالمين. (انظر جداول رقم ٣ ورقم ٤)



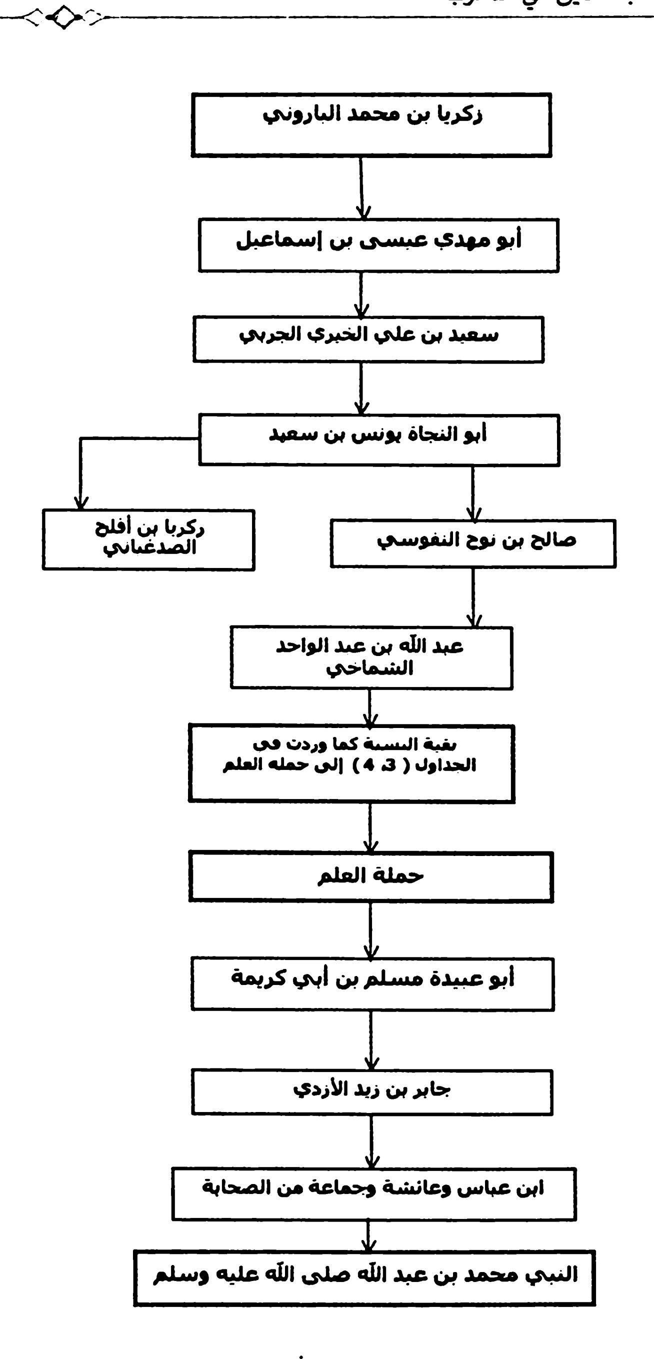
جدول رقم ٣ علماء نسبة الدين من عبد الله بن عبد الواحد الشماخي إلى يحيى بن سفيان اللالوتي من رواية محمد بن زكريا الباروني



جدول رقم ٤ علماء نسبة الدين من يحيى بن سفيان اللالوتي
إلى النبي ﷺ على رواية محمد بن زكريا الباروني

فهؤلاء بعض أئمتنا الذين أخذنا عنهم العلم والدين والسير، وهم قادات المسلمين وأعلام الحق المبين، نسأل الله أن يقتفي بنا آثارهم، ويميتنا على منهاجهم، وينفعنا ببركاتهم إنه ولي ذلك والقادر عليه. ولم نقلد ديننا الرجـال، ولم نرضَ بحكومة الجهـال الذين خالفوا كتـاب الله في المقـال، وإنما قلدنـا كتاب الله ﷻ بوسـيلة العلماء الراشدين أهل العلم والعمل والورع والخشـية والمراقبة، الذين لم تغرهم الأهواء، ولم تختلبهم الدنيا وهم أئمـة العدى ومنار الدجى رحمة الله عليهم، ونسأله العصمة.

وقدمت أيضا عام أحد وستين وتسعمائة إلى جبل بني مصعب، ولازمت الشيخ أبا مهدي عيسى بن إسماعيل، غفر الله له ورضي عنه وأخذت عنه فوائد جمة فـي التوحيد وغيره، وقرأ هو على الشـيخ سـعيد بن علي الخيري الجربي، عن الشـيخ أبي النجاة يونس بن سـعيد المذكور آنفا، عن الشـيخ صالح بن نوح النفوسي إلى آخر النسبة. (انظر جدول رقم ٥)



جدول رقم ٥ علماء نسبة الدين من أبي مهدي عيسى بن إسماعيل إلى النبي ﷺ على رواية محمد بن زكريا الباروني

وأخذ أيضا أبو النجاة عن الشيخ زكريا بن أفلح الصدغياني، وأخذ أيضا عن الشيخ سعيد بن أحمد السدويكشي الجربي، عن الشيخ أبي الفضل أبي القاسم بن إبراهيم البرادي، عن الشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشماخي، وأخذ أبو القاسم أيضا عن الشيخ يعيش بن موسى الخيري، وعن صالح بن نجم الغراوي، عن الشيخ عثمان الزراتي، عن ايفاو الأبدلاني، عن ميمون بن تكيس، عن عيسى اليفرني، عن يوسف الإباضي، عن الشيخ أبي عمر عثمان بن خليفة المرغني السوفي، عن أبي العباس أحمد بن محمد (بن عبد الله) بن بكر، عن أبي الربيع سليمان بن يخلف، عن الشيخ محمد بن بكر، عن أبي زكريا فصيل بن أبي مسور، عن والده أبي مسور المذكور، عن أبي معروف عن أبي ذر أبان بن وسيم، عن أبي خليل (الدركلي)، عن أبي المنيب محمد بن يانس، عن حملة العلم، عن أبي عبيدة، عن جابر بن زيد، عن عائشة وابن عباس، عن عمر، عن رسول الله، عن جبريل، عن اللوح المحفوظ، عن رب العالمين، وأخذ أيضا أبو عبد الله محمد بن بكر، عن الشيخ أبي نوح سعيد بن زنغيل، عن أبي خزر يغلى بن أيوب، وزلتاف اسم أمه، عن حسنون[1] بن أيوب، عن سعد بن أبي يونس، عن الإمام أفلح، عن أبيه عبد الوهاب، عن أبيه عبد الرحمٰن، عن أبي عبيدة، عن جابر، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح المحفوظ، وقيل ملك الإلهام، عن رب العالمين والله أعلم بغيبه وأحكم، كذا أخذت عمن حدثني. (انظر جدول رقم ٦ و٧)

---

(١) الصحيح سحنون وليس حسنون. ورد سحنون في روايتي أبي اليقظان والحيلاتي.

وفي النسبة المتقدمة طرق تركتها حبا للاختصار، وسلكت فيها طريقًا واحدًا، ونظمتها في قصيدة من بحر الرجز وعرضتها على الشيخ أبي سليمان داود بن إبراهيم فاستحسنها، وذلك قبل موته بشهر ونحوه، وتوفي أوئل جمادى الأولى سنة سبع وستين وتسعمائة. انتهى.

وقد رواها شعرا على النسبة الأولى، قال:

قال محمد الضعيف المذنبُ — أحمدك اللهم حمدا أرغبُ
في العون والتوفيق والإيابِ — صلاتنا على النبيّ الأوابِ
ثم الرضى عن صحبه وآلهِ — وكل تابع لقول ربهِ
من تابع الرسول هم أعلامُ — عليهم الرحمة والسلامُ
فهذه نسبة دين مسندةْ — كعقد در وياقوت محكمة
بحمد ربي لم أكن مغيبًا — في مذهبي ونسبي مخيبًا
ولم أجُر الذيل في لهو الصبَا — ولم يكن دينيَ لهوًا لعبا
ولا أرتضي بمنزل الأدناسِ — أهل الخناء والهوى الأنكاسِ
ولا أسير في الدجى للغيدِ — ولا أهيم في الفلا والبيدِ
كدأب قيس وجميل تا ها — ثم الفرزدق والبُعيث فاها
بالشعر في الملوك والغوغاءِ — ثم جرير مال للهواء
والكندي امرئ القيس كان يذكرُ — وطرفة ونابغ وعنترُ
هاموا وعاموا في الهوى دهرهمُ — من أجل ليلى وسليمى ويلهمُ
ولا أنتمي للفخر والإعجابِ — لكن لأهل الدين والصوابِ
يا سائلي عن سندي في ديني — رُشِدتَ للدعوة والتبيينِ
فهاك أفصاحا بغير عجمةً — يزيح كل شبهة وغمّةً

سـندنا تنزيـل ذي الجـلالِ علـى رسـولٍ خُـص بالكمالِ
بجابـر وابـن عبـاس نهتدي والراسـبيْ وابن أباض نقتدي
صحابـة الرسـول والتالي لهم قاداتنـا حقـا فاعـرف حالهمْ
أخذنـاه عـن الثقـاة الفضـلا من مشـرق ومغرب أهل الولا
أتـى بـه حـملـة الآثـارِ من بصـرة خمسٌ فـلا تمارِ
فمنهـم عبدالاعلـى الإمـامُ وداودٌ وعاصـم الهُمـامُ
وابـن درار سـبقه عنـد القضا إمامهـم الفارسـي المرتضـى
قَبِلـه عنهـم رجـال فـازوا قولا وفعـلا كل ذا قـد حازوا
وجلُّهـم مـن جبـل نفوسـة كم جاهدوا في الدين من عبوسة
وأظهروا الدين بـدار المغربِ بسـيفهم قام كذا فـي الكتبِ
لكنـه بعـد زمـان أكتمـا صار غريبا بل طريـدا مجحما
نـص علـى ذا سـيد الأخيارِ بـدا غريبـا والحديـث جـارِ
تضعضـع الديـن وقـل أهله في ذا الزمان قد بدا لك ضعفه
لـم تبـق إلا طلـل اندرسـت وعقائـد الأخيـار قـد انتثرت
هـذا زمان أهلـه فـي النكسِ من أجل ما قد بدَّلـوا بالبخسِ
أكثرهـم قـد رجعوا حشـوية وبعضهـم قـد أهملوا سـائمه
وبعضهـم أولـع بالأطمـاعِ وبعضهـم أظهـر بالخـداعِ
وغيـر هذا مـن فنـون الهلكِ وقاك ربي سـوء ما في الحلكِ
الديـن ديننـا يـا ذا النـدا اسـمع كلامًـا مسـندًا منجدًا
في ديننا ديـن أولـي الألبابِ أتى الصواب لسـت بالمرتابِ
أخـذت ديـن الله والرسـولِ عن قـدوة ليـس بـذي فلولِ

سمته داود شيخ في الورى زماننا ضاء به بلا مرا
تلقف الدين عن الأشياخ عن خمسة جد بلا تراخ
أولهم هو ابن عيسى الطيب عن شيخه يحيى الولي النجب
عن صاحب الفنون والعلوم يعقوب نجل أحمد المعلوم
عن عبد الله أخذ ثم رحلا لحضرة المغرب ثم نزلا
وثانيا أخذ عن شيخ سما هو أبو القاسم كن مغتنما
عن يعقوب بن صالح لا تجادل قد فاق في العلوم لا تناضل
عن يونس عن صالح المجاهد عن شيخه عبد الاله الماجد
وثالثا أخذ عن زكريا عن أحمد الشماخي لاتك ساهيا
عن صالح المذكور لا تماري ورابعا عن ابنه يا قاري
عند الشماخي اجتمعوا ياحافظ عبد الاله سيد محافظ
وعبد الله أخذ عن أبي الربيع عن جده فاصغ إليَّ واستمع
هو عامر هو عامر في عصره صاحب الإيضاح وقد فاز به
أبو العلى الباروني عنه تلقى عامر وعن أبي مهدي الولي الماهر
عن يحيى عن زكريا فكنيته هو أبو يحيى الذي أغنت شهرته
عن الأمللّي عن داود الماهر هو ابن هارون الفقيه الطاهر
له الفتاوي في النوازل تعرف وكل شبهة به قد تكشف
عن يحيى ذي التآليف والبيان عن سليمان فاز بالتبيان
عن ابن سفيان إلى خصيب عن ابن يونس بلا تنكيب
عن أبي هارون الهادي المتق سنده ابن حسن المحقق
محيى لنا الدين بعيد الدولة دولة أهل العدل والسهولة

لهفي على ذاك الزمان وأهلِهِ وعلى خلائف ربنا في أرضِهِ
عن الفرس نجموا بأرضنا لقوله من يرتدد عن ديننا
نأت بقوم حبُّهم في اللهِ يُحبُّهم جل عن الأشباهِ
وقوله صلى عليه ربنَا من رهط سلمان فلا تك باينا
شهرتهم أغنت عن الإكثارِ سيرهم سطرت في الأسفارِ
عن أبي ذر عن أبي خليلِ عن مامد بن يانس الجليلِ
عن إسماعيل عن أبي عبيدة عن جابر عن عائشة الحميرة
وابن عباس وآل الرسول عن جلهم أخذ بالقبول
وكلهم من أحمد قد أخذوا أتى به جبريل جدوا واجتهدوا
عن ميكائيل أخذ عن إسرافيل عن اللوح المحفوظ خذ يا سائلي
عن ملك الإلهام عن رب العلى ألهمنا الله الرشاد الأكملا
بجاه خير الخلق والأملاك هب لي رضاك والهدى ملاك
تمت بحمد الله والصلاة على النبي وذوي الأخبات

نسب الدين برواية الحيلاتي

وفي نهاية القرن الحادي عشر جاء الشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي[1]، وهو من علماء جزيرة (جربة) بتونس، فنسب الدين من شيخه أبي القاسم الصدغياني إلى النبي ﷺ.

---

(١) أبو الربيع سليمان بن أحمد الحيلاتي (ت: ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م)، من المؤرِّخين والعلماء المشهورين في القرن الحادي عشر هجري في (جربة) بتونس، ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم، ولد بحومة (جعبيرة)، أخذ أبو الربيع العلم عن جماعة من

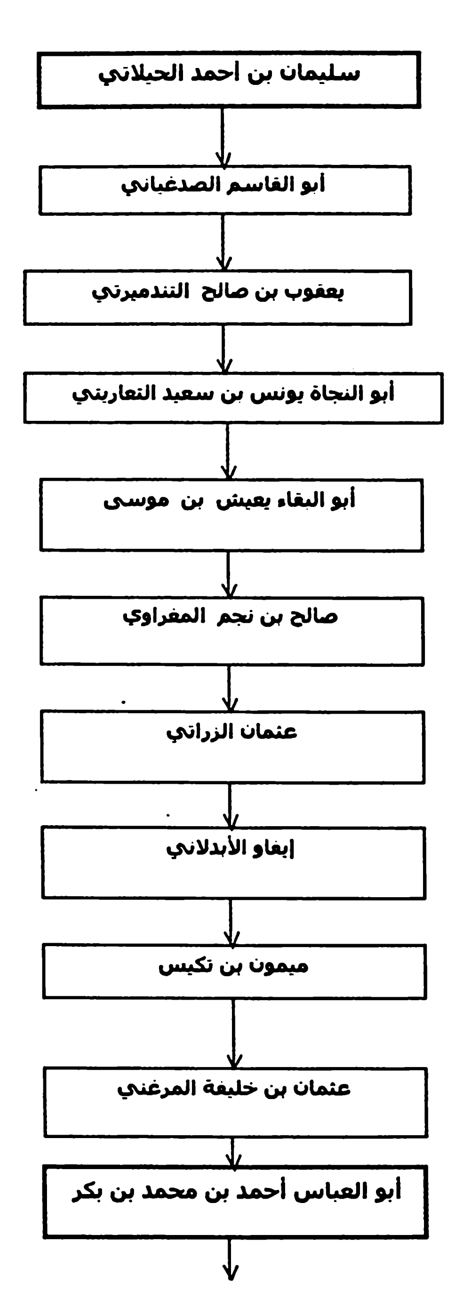
قال الشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي رَحِمَهُ اللهُ:

وبيان الإسناد[1] الصحيح أن أبا القاسم (الصدغياني) حفظه الله أخذ من شيخه أبي زيد عبد الرحمٰن بن أحمد الحيلاتي، عن أبي يوسف (يعقوب) بن صالح التندميرتي، عن أبي النجاة يونس التعاريتي الخيري، عن أبي زكريا بن أفلح الصدغياني، عن أبي عمران موسى بن أيوب، عن أبي الحياة (البقاء) يعيش بن موسى الزواغي، بحومة أولاد أبي علي مسكنًا، عن أبي البر صالح (بن نجم) المغراوي، عن عمنا أبي سعيد عثمان الزراتي، عن إيفاو الأبديلاني (النفوسي) عن ميمون بن تكيس الورغمي الساكن بأبدلان (الأبدلاني)، عن أبي عمرو عثمان بن خليفة (المرغني السوفي)، عن

= علماء عصره، منهم الشيخ محمد التغزويسني وأبو الفضل قاسم بن سعيد الصدغياني اليونسي بمدرسة «تاجديت» بحومة «فاتو». كان أبو الربيع واسع الاطلاع، ناشطا قوي العزيمة، يسجل أحداث عصره، فقد اهتم بالناحية التاريخية فدون سيرة السلف الصالح في الجزيرة، وأصبح الحيلاتي مرجعًا في تاريخ الجزيرة، وهو أهم من أرَّخ في القرن الحادي عشر لأعلام الجزيرة، له عدة مؤلفات منها: «نسبة الدين، قال سعيد بن تعاريت: إنه لم يرَ جامعًا لنسب الدين بعد محمد بن زكريا الباروني غير الشيخ سليمان الحيلاتي، تخرج على يديه عدد كبير من العلماء منهم: يونس بن صالح بن قاسم البلاز، والشيخ يوسف بن يحيى البلاز، والشيخ صالح بن يوسف بن صالح البلاز، والشيخ إبراهيم بن يوسف بن صالح البلاز، وكذلك الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي. ينظر: المرجع نفسه، رقم ٤٢٩.

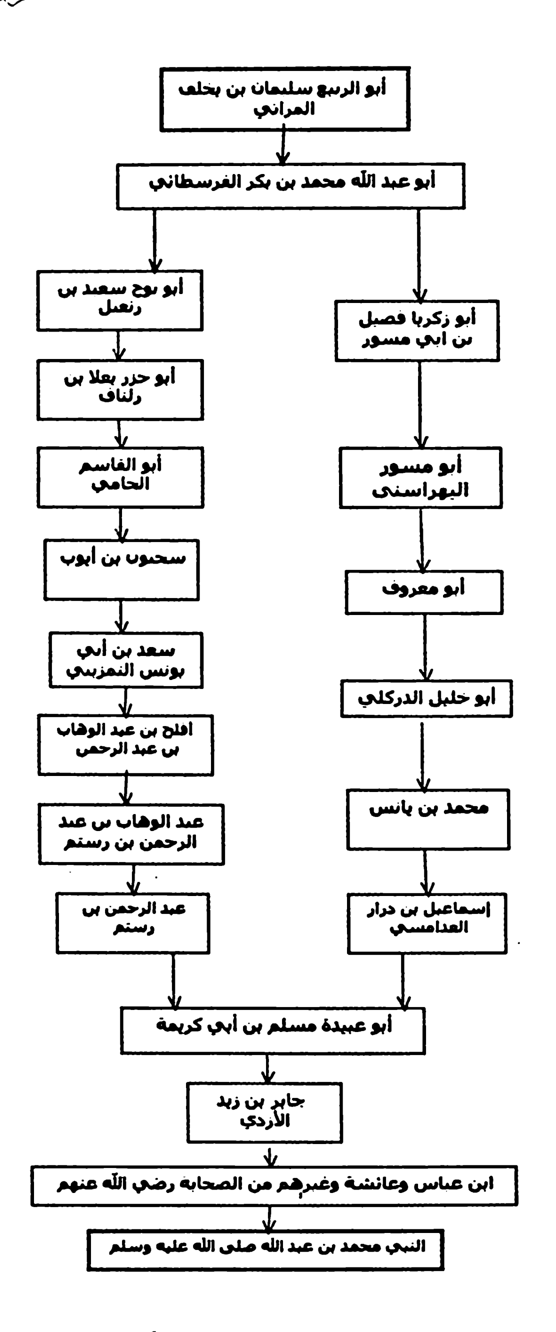
(١) ذكره الشيخ أبو محمد المصعبي في شرحه لحائية أبي نصر فتح بن نوح الموشائي.

أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر، عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، عن أبي عبد الله محمد بن بكر (الفرسطائي)، عن أبي نوح سعيد بن زنغيل، عن أبي خزر يغلى بن زلتاف عن أبي القاسم (الحامي)، عن سحنون بن أيوب عن سعد بن أبي يونس، عن (الإمام) أفلح بن عبد الوهاب الرستمي، عن أبيه عبد الوهاب، عن أبيه عبد الرحمٰن بن رستم، عن أبي عبيدة مسلم (بن أبي كريمة التميمي)، عن أبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، فهذه نسبة أهل المغرب.



جدول رقم ٦ علماء نسبة الدين من أبي قاسم الصدغياني إلى أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر من رواية سليمان بن أحمد الحيلاتي

وأما نسبة جزيرة جربة صانها الله وحرسها، فأبو عبد الله محمد بن بكر لما أخـذ عن أبي نوح سـعيد بن زنغيل، أخذ عـن أبي زكريا (فصيل)، عن أبيه أبي مسور يسجا، عن أبي معروف، عن محمد بن يانس، عن أبـي خليل صال من أهل دركل، عـن حملة العلم، وهم أبو الخطاب المعافري، وعبد الرحمٰن بن رستم، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وعاصم السدراتي وداود القبلي، عن أبي عبيدة، افترقت النسبة عند أبي عبد الله محمد بن بكر؛ لأنه أخذ في المغرب من أبي نوح سعيد بن زنغيل، وفي جربة من أبي زكريا (فصيل بن أبي مسور) اليهراسني، وعبد الرحمٰن بن رستم عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن النبي ﷺ. (انظر جدول رقم ورقم ٧)



جدول رقم ٧ شجرة علماء نسبة الدين من أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي إلى النبي ﷺ من رواية سليمان بن أحمد الحيلاتي

نسب الدين برواية أبي اليقظان إبراهيم بن عيسى

حسب اطلاعي فإن آخر من كتب في نسَــب الدين من إباضية المغرب أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى (ت: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، وقد نقل الشـيخ أبو اليقظان رواية الحيلاتي إلى القرن الثاني عشر، ثم أكمل بقية السلسلة إلى عصره وقد وجدتُ روايتين عن أبي اليقظان، بهما بعــض الاختلاف، إحداهما مؤرخة في شــهر شــعبان ١٣٨٤ الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٦٤م، والأخرى في ١٣ رجب ١٣٨١هـ، والخلاف بينما بسيط.

الرواية الأولى للشيخ أبي اليقظان[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

هذا ما ثبت لدينا من نسب الدين

أخــذت ديني أنــا أبو اليقظــان، وأنــا معاصر للشــيخ بيوض إبراهيم بن عمر، عن شــيخنا الحاج عمر بن يحــي في أوائل القرن الرابع عشر، عن الشيخ اطفيش امحمد بن يوسف، عن أخيه الحاج إبراهيم بن يوسف، عن عمر بن سليمان نوح، عن الشيخ بالحاج بن كاسي القراري، عن الشيخ يحي بن صالح، عن أبي عبد الله محمد بن

(١) هذه الرواية مؤرخة بتاريــخ ١٣ رجب ١٣٨١هـ كتبها بالقــرارة، بخط يده. توجد نســخة منها بالمكتبة البارونية بجرية، كما توجد صــورة منها في كتاب «معالم الحضارة الإسلامية» بوارجلان، للشيخ الدكتور عمر لقمان. ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

الشيخ يوسف المصعبي المليكي، عن أبي الربيع سليمان بن الشيخ أحمد الحيلاتي، ذاكرا أنه في حومة جعبيرة من جربة، وكان في آخر القرن الحادي عشر معاصرا للعلامة الشيخ أحمد بن عمر بن أبي ستة القصبي، قال: يعني شيخه أبا الربيع، وبيان الإسناد الصحيح؛ أن شيخنا أبا القاسم بن سعيد الصدغياني الساكن بحومة سفحار[١] من وادي الزبيب بجربة، عن شيخه أبي زيد عبدالرحمان بن أحمد الحيلاتي، عن أبي يوسف يعقوب بن صالح التندميرتي، عن أبي النجاة يونس بن سعيد بن يحي التعاريتي الخيري، عن أبي زكريا بن أفلح الصدغياني، عن أبي عمران موسى بن أيوب، عن أبي يعيش[٢] بن موسى الخيري، بحومة أولاد أبي علي قرب جعبيرة مسكنا، عن أبي البر صالح بن عمر الغمراوي، عن أبي عثمان سعيد الزراتي، عن إيفاو الأبدلاني، عن ميمون بن تكنيس[٣] الورغمي، الساكن بأبدلان.

عن أبي عمرو عثمان بن خليفة المرغني السوفي، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر، عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، عن أبي عبدالله محمد بن بكر، عن أبي نوح سعيد بن زنغيل، عن أبي خزر يغلا بن زلتاف، عن أبي القاسم الحامي، عن

---

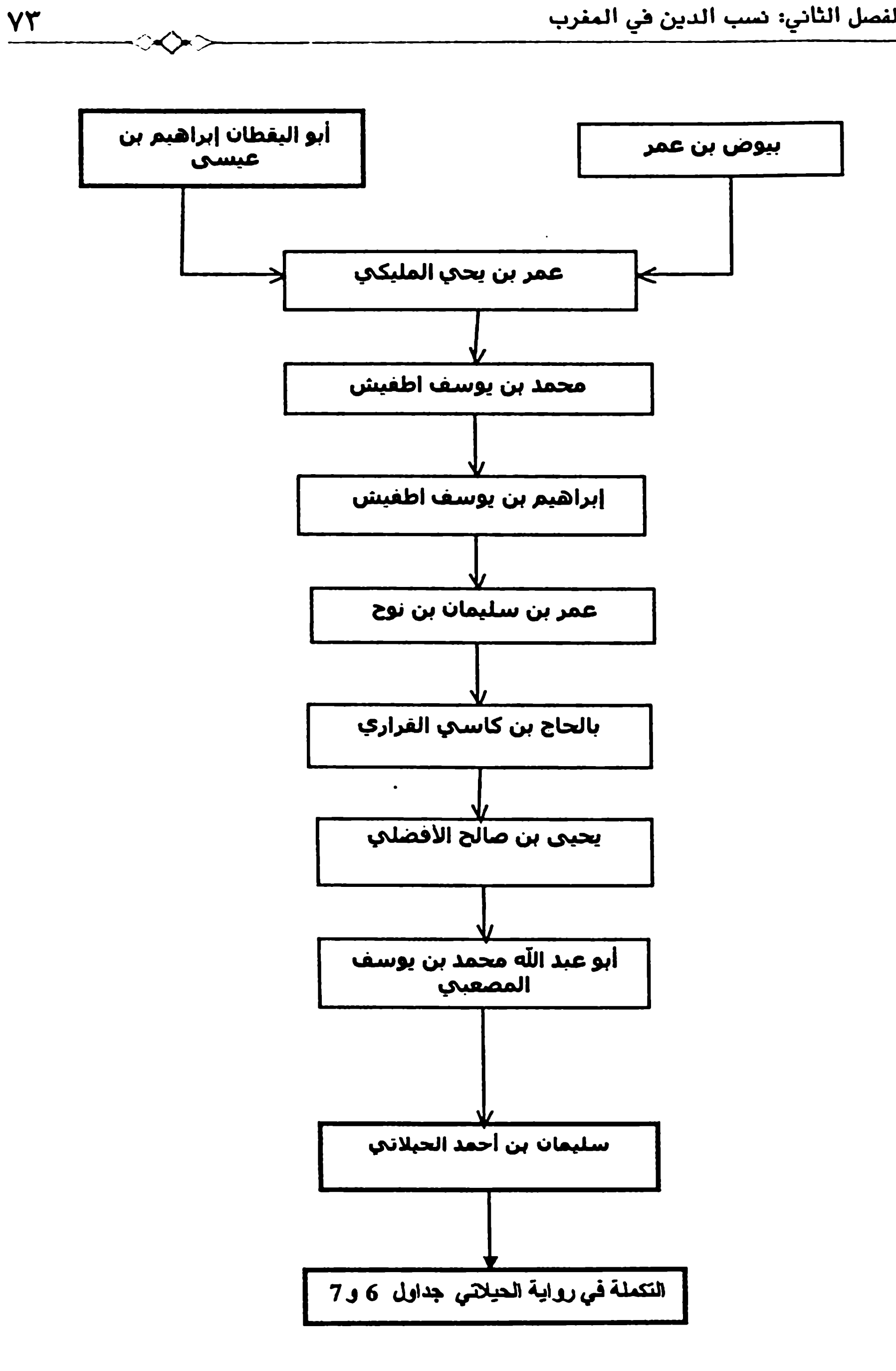
(١) لا توجد في جربة حومة باسم «سفحار» ويبدو أنه خطأ في النسخ أو وهم من الشيخ.

(٢) أبي هنا زائدة، والصحيح يعيش بن موسى كما ورد عند غيره.

(٣) وردت بعد روايات: تكنيس وعكيس وتكنيس، ولعل الصواب «تكيس» كما ورد في رواية الباروني ورواية الحيلاتي.

سحنون بن أيوب، عن سعد بن أبي يونس، عن الإمام أفلح، عن أبيه عبدالوهاب، عن أبيه عبدالرحمن، عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري، عن جابر بن زيد الأزدي، عن ابن عباس، عن عائشة أم المؤمنين، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل، عن اللوح المحفوظ، عن رب العالمين.[1] (انظر جدول رقم ٨)

(١) الفقرة الأخيرة التي تبدأ من: عن أبي عمرو عثمان بن خليفة المرغني السوفي، موجودة أيضا في مخطوطة سير المشايخ للوسياني.



جدول رقم ٨ سلسلة علماء نسبة الدين من أبي اليقظان إبراهيم إلى سليمان بن أحمد الحيلاتي ومنه إلى النبي ﷺ

الرواية الثانية للشيخ أبي اليقظان

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه

نسب الدين

نقلا عن وثيقة وجدها الأخ صدقي محمد في بعض خزائن جربة وأنا (أبو اليقظان) وصلتها حيث بدأت من عهدنا هذا إلى النبي ﷺ إلى اللوح المحفوظ إلى رب العالمين، وهي فيما يلي:

أنا أبو اليقظان إبراهيم أخذت ديني وعلمي عن شيخي الحاج عمر بن يحي وشيخي الحاج إبراهيم بن عيسى، وهما أخذا عن قطب الأئمة الشيخ اطفيش، وأخذ الشيخ اطفيش محمد بن يوسف عن أخيه الحاج إبراهيم يوسف، عن عمر بن سليمان، عن الشيخ بن الحاج بن كاسي القراري، عن الشيخ الحاج يوسف بن حمو، عن عبد العزيز الثميني، عن يحيى بن صالح، عن يوسف بن محمد المصعبي، عن سليمان بن أحمد الحيلاتي، من علماء القرن الحادي عشر، عن أبي قاسم بن سعيد، عن شيخه أبي زيد عبد الرحمٰن بن أحمد الحيلاتي، عن أبي يوسف يعقوب بن صالح التندميرتي، عن أبي النجاة يونس بن سعيد التعاريتي، عن زكريا بن أفلح الصدغياني، عن أبي عمران موسى بن علي، عن أبي البر صالح بن نجم الغمراوي، عن أبي عثمان سعيد الزراتي، عن إيفاو الأبدلاني، عن ميمون بن تكنيس الورغمي الأبدلاني، عن أبي عمر عثمان بن خليفة المرغني السوفي، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر، عن أبي الربيع سليمان بن يخلف

المزاتي، عن أبي عبد الله محمد بن بكر، عن أبي نوح سعيد بن زنغيل، عن أبي خزر يغلا بن زلتاف، عن أبي القاسم الحامي، عن سحنون بن أيوب، عن سعد بن أبي يونس، عن الإمام أفلح، عن أبيه عبد الوهاب، عن أبيه عبد الرحمٰن بن رستم، عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري، عن جابر بن زيد الأزدي، عن عائشة أم المؤمنين، عن الرسول ﷺ عن جبريل، عن اللوح المحفوظ، عن رب العالمين.

صححه أبو اليقظان إبراهيم في شعبان ١٣٨٤ الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٦٤م.

ويجب الإشارة إلى أنه في بداية القرن الرابع عشر الهجري قام الشيخ عبد الله بن يحيى الباروني[١] بجمع ما كُتِب عن نسَب الدين في كتيب صغير سماه: «رسالة سُلَّم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين» (مط)، وقد حققه وعلّق عليه ابنه الشيخ المجاهد سليمان باشا الباروني[٢]، وفي هذا الكتيب ذكر علماء نسَب الدين من طريق

(١) عبد الله بن يحيى الباروني، تقدمت ترجمته.

(٢) سليمان بن عبد الله بن يحيى الباروني، مجاهد، وسياسي، وشاعر، وأديب، وصحفي، ومؤرخ. ولد سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م في مدينة (جادو)، بليبيا، أخذ العلم عن والده ثم درس في تونس، ومصر، ووادي ميزاب على قطب الأئمة، ثم عاد متحمسًا ليبدأ مشاريعه الإصلاحية في ليبيا، فاستقبلته السلطات التركية بالسجن، ثم أفرج عنه بعفو سلطاني عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م، أنشأ مع والده المدرسة البارونية في (يفرن) عام ١٣٣٢هـ/١٩٠٤م، وأسس مطبعة الأزهار البارونية، طبع فيها ديوان شعره، وكتابه: «الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية»، وغيرها من الكتب، كما أصدر صحيفة «الأسد الإسلامي»، ولما احتلت إيطاليا ليبيا، رفع راية الجهاد ضد الاستعمار=

البغطوري، ونسَب الدين كما رواه محمد بن زكريا الباروني عن شيخه، لكن لم يذكر رواية الحيلاتي كما ذكر نسَب الدين من طريق عامر بن علي الشماخي[1]، وهي جزء من رواية محمد بن زكريا الباروني، كما ذكر رواية عن طريق أبي مهدي عيسى بن إسماعيل[2].

= الإيطالي، وأنشأ الجمهورية الطرابلسية، فتآمرت عليه الدول الغربية ونفته إلى فرنسا، ثم توسط له الشريف حسين فأدى فريضة الحج، ومنها سافر إلى عُمان وعاش فيها إلى آخر حياته، قام بعدة إصلاحات في عُمان أهمها إزالة الخلاف القائم يومئذ بين السلطان والإمام، وبث روح الإخاء بين العُمانيين، وعينه الإمام الخليلي رئيسا لوزرائه، وفوض إليه مهمة الرقي بالإمامة، فقام بتنظيم أمور الدولة خير قيام، وبنى المدرسة البارونية في «سمائل»، عينه السلطان سعيد بن تيمور مستشارا خاصا له. ابتلاه الله تعالى مدة إقامته بعُمان التي تجاوزت خمسة عشر عاما بحُمّى الملاريا، تردد خلالها بين عُمان والعراق للعلاج، وحين اشتد عليه المرض في آخر حياته، سافر إلى الهند للعلاج، لكن المنية عاجلته، فتوفي يوم ١ مايو ١٩٤٠م. له ديوان شعر، وعدة مؤلفات، ومراسلات عديدة مع قادة الجيوش الإيطالية، ومع إخوانه وأصدقائه، وله مقالات عديدة في كثير من الصحف، والمجلات العربية والأجنبية.

(١) أبو ساكن عامر بن على بن عامر الشمّاخي (ت: ٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، من منطقة «يفرن» بجبل نفوسة. ويُعَدُّ الشيخ عامر الشماخي من أشهر علماء الجبل، اشتهر بكتابه «الإيضاح» وبالمسجد الذي ينسب إليه، درس في مدرسة أبي موسى عيسى الطرميسي، بعد أن أتم دراسته رجع إلى «يفرن»، وكوّنَ هناك مدرسته الكبرى التي لا تزال قائمة إلى الآن، ترك عدة مؤلفات أشهرها: كتاب «الإيضاح» في أربعة أجزاء. كان مرجع الفتوى في جبل نفوسة للإباضية وغيرهم، وهو ممن جاز عليه نسب الدين في نفوسة، كان واسع الاطّلاع، جمُّ المعرفة، متحرِّر الفكر، صادقًا، وقورًا، حكيمًا، وحليمًا، أخذ عنه العلم عدد غير قليل من العمالقة العظام، منهم ولده موسى، وحفيده أبو الربيع سليمان بن موسى، أيوب الجيطالي، وأبو القاسم البرّادي، وغيرهم.

(٢) أبو مهدي عيسى بن إسماعيل بن موسى (ت: ذو القعدة ٩٧١هـ/١٥٦٤م) علم من أعلام بلدة (مليكة) بميزاب، وهو حلقة في سلسلة نسب الدين عند الإباضيّة، إذ

نسب الدين في عُمان

أما في المشـــرق، وتحديدًا في عُمان، فـإن أول من اهتم ووثق نسَب الدين حســـب اطلاعي هو الشـــيخ محمد بن عبد الله بن مدّاد الناعبـــي[١]، إذ ذكر سلســـلة متصلة مـــن العلماء؛ بداية من الشـــيخ ســـلمة بن مســـلم العوتبي، من علماء القرن الســـادس الهجري إلى النبي ﷺ ضمن ما عُرِف بسيرة ابن مداد.

أما بعد القرن السادس فلم أجد أيَّ مصدر يربط علماء عُمان في شجرة أو سلســـلة واحدة، كما هو الحال في علماء المغرب، فأغلب المصادر التاريخية لم تُرَكِّز على المراحـــل الأولى من حياة العلماء التي تم فيها تلقي العلم، ولذلك لم تذكر المصادر في بعض القرون

= أخذ العلم عن شـــيخ زمانه بميزاب: الشيخ عمّي سعيد الجربي، وهو من أنجب تلاميذه، وأخذ عنه أئمّة ومشايخ منهم: الشيخ محمّد بن زكريا الباروني النفوسي، وداود بن إبراهيم التلاتي الجربي، وغيرهم، اشـــتهر أبو مهدي عيســـى بالعلم والفهم والاجتهاد والورع، له تآليف عديدة في مختلف فنون العلم، وشعر رائق جميل. ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، رقم ٧٠٠.

(١) محمد بن عبد الله بن مداد الناعبي من علماء القرن العاشر الهجري، شيخ مؤرخ وفقيه عالم، من عقر نزوى، من عائلة ابن مداد التي ذاع صيتها، واشتهر فضلها، معروفة بالعلـــم والفقه، عاش في عهد الإمام محمد بن إســـماعيل. وله ســـيرة مشهورة تحتوي على تراجم للعلماء مختصرة تعرف بسيرة ابن مداد (ت: ٩١٧هـ). ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق رقم ٦٠.

أسماء شيوخ أو تلاميذ كثير من العلماء، خصوصًا بين القرن السادس والقرن العاشر؛ لأن تاريخ تلك الفترة يعتبر مجهولاً إلى حد كبير. وهي الفترة التي حكم فيها النباهنة عُمان، فساد الجورُ والظلمُ، وقل الاهتمام بالعلم، ويبدو أن النباهنة ومن عاصرهم من العلماء لم يهتموا بكتابة التاريخ، ومع ذلك فإن تلك القرون لم تخلُ من العلماء والفقهاء والقضاة الذين كان لهم دور في مجال التربية والتعليم، لكن الباحث يجد صعوبة شديدة في الحصول على معلومات كافية عن مسيرة العلم والعلماء في تلك القرون.

كما أن الصراع القبلي الذي نتج عن الصراع السياسي، الذي أدّى إلى انقسام عُمان إلى نزوانية ورستاقية، كان له دور في طمس كثير من الحقائق التاريخية، وسبَّب جفوة بين مناطق عُمان، كان من نتيجتها عدم وجود تواصل كبير بين علماء المناطق المختلفة، ولعل الطبيعة الجغرافية الصعبة في عُمان ساهمت إلى حد كبير في الحد من اتصال العلماء بين المناطق الكثيرة والمترامية الأطراف.

نَسَب الدين في عُمان برواية ابن مدّاد[1]

يقول ابن مدّاد في سيرته عن علماء عُمان، تحت عنوان «فصل في معرفة إسناد دين أهل الفوز ونقلهم إياه عن بعضهم بعضًا»:

«حمل أبو المنذر سلمة بن مسلم [العوتبي] عن الشيخ سعيد بن قريش رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وحمل سعيد بن قريش عن محمد بن مختار [النَّخَلي]

(١) ما بين قوسين [ ] هو إضافة مني، زيادة في التعريف.

وغيره من الفقهاء، وحمل محمد بن المختار عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن علي البِسياني.

وحمل أبو الحسن علي بن محمد بن علي (البِسياني) الأصم، المذهب عن الشيخ محمد بن أبي الحسن النزواني، وعن عبد الله محمد بن بركة وغيرهما.

وعبد الله محمد بن بركة حمل العلم عن أبي مالك غسان بن محمد بن الخضر الصّلاني، وعن أبي مروان سليمان بن محمد بن حبيب، وعن الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وأبو مالك غسان بن محمد بن الخضر الصّلّاني، وأبو قحطان خالد بن قحطان الهجاري، وأبو مروان سليمان بن محمد بن حبيب؛ حملوا العلم عن عزان بن الصقر العَقْري النَّزَوي.

والفضل [ابن الحواري] وعزان [بن الصقر] وأبو المؤثر (الصلت بن خميس) حملوا العلم عن محمد بن محبوب.

ومحمد بن علي [بن عزرة الإزكوي]، ومحمد بن محبوب [ابن الرحيل]، والوضاح بن عقبة؛ حملوا العلم عن موسى بن علي الإزكوي، وغيره من الفقهاء.

وموسى بن علي [الإزكوي] ومحمد بن هاشم بن غيلان حملا العلم عن هاشم بن غيلان السيجاني، وعن غيره من الفقهاء.

وهاشم بن غيلان السيجاني وسليمان بن عثمان ـ من قرية العَقْر ـ حملا العلم عن موسى بن أبي جابر الإزكوي، وعن غيره من الفقهاء.

وموسى بن أبي جابر، وبشير بن المنذر النزواني العَقْري، من عقر نزوى، وهو جد بني زيـاد أيضًا، من بني سـامة بن لؤي بن غالب، ومنير بن النير الريامي الجعلاني، من قضاعة بن مالك بن حمير، ومحبـوب الرحيلـي [أبو سـفيان][1]، ومحمد بن المعلى الفشـحي الكندي، حملوا العلم عـن الربيع بـن حبيب بن عمر الفراهيـدي، وغيره من فقهـاء البصرة، وكان الربيـع ينزل البصرة بمحلة منها يقال لها «الجريبة».

والربيع بن حبيب، وعبد الله بن يحيى طالب الحق، حملا العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الكبير، وعن غيره من الفقهاء.

وأبو عبيدة مسـلم بن أبي كريمة، وجعفر بن السماك، وضمام حملوا العلم عن جابر بن زيد، بلدته فرق.

وجابر بن زيد حمل العلم عن ابـن عباس وعن عبد الله بن عمر وعائشة أم المؤمنين.

وجابر بن زيد لقي سبعين رجلًا من الصحابة ممن شهد وقعة بدر وحمل العلم عنهم، ورُوِي عنه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: لقيتُ سبعين رجلًا من أهل العلم، فحويتُ ما بين أظهرهم إلا البحر، يعني عبد الله بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ورُوي أيضًا عنه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: حملتُ عن سبعين بدريا فحويتُ ما بين أظهرهم، ورددت عليهم إلا البحر يعني ابن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) ورد فـي المخطوط محمد بن محبوب بن الرحيـل، والصحيح هو محبوب بن الرحيل، فهو الذي أخذ عن الربيع.

وعبدالله بن العباس، عن عمر بن الخطاب وعن عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم جميعا، وكذلك عن غيرهم من الصحابة رحمهم الله.

وعائشة والصحابة حملوا العلم عن النبي ﷺ.

والنبي ﷺ عن جبرائيل عليه السلام، وجبرائيل صلى الله عليه، عن الله عز وجل. قال الله عز وجل اسمه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾.

فليس لطاعن في ديننا مغمز، وليس لقائل فيه مهمز. والحمد لله على ما هدانا ومنحنا وأعطانا. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

تم ما وجدناه من إسناد الدين إلى عُمان[1].

ثم يقول: «ووجدتُ أن الفقيه أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي - مؤلف المصنف - حمل دينه عن الفقيه أحمد بن محمد بن صالح النزواني.

---

(١) سيرة ابن مداد، مخطوط، ص٢٠ - ٢٣، وهو كشكول من المعلومات عن علماء عُمان، طبعته وزارة التراث القومي والثقافة سنة ١٩٨٤م بعنوان «سيرة عبدالله بن مداد»، أيضًا يوجد بحث تخرج في مكتبة كلمة العلوم الشرعية، بسلطنة عُمان بعنوان «تحقيق سيرة بن مداد»، والذي يبدو أقرب للصواب أن السيرة تنسب إلى محمد بن عبدالله بن مداد.

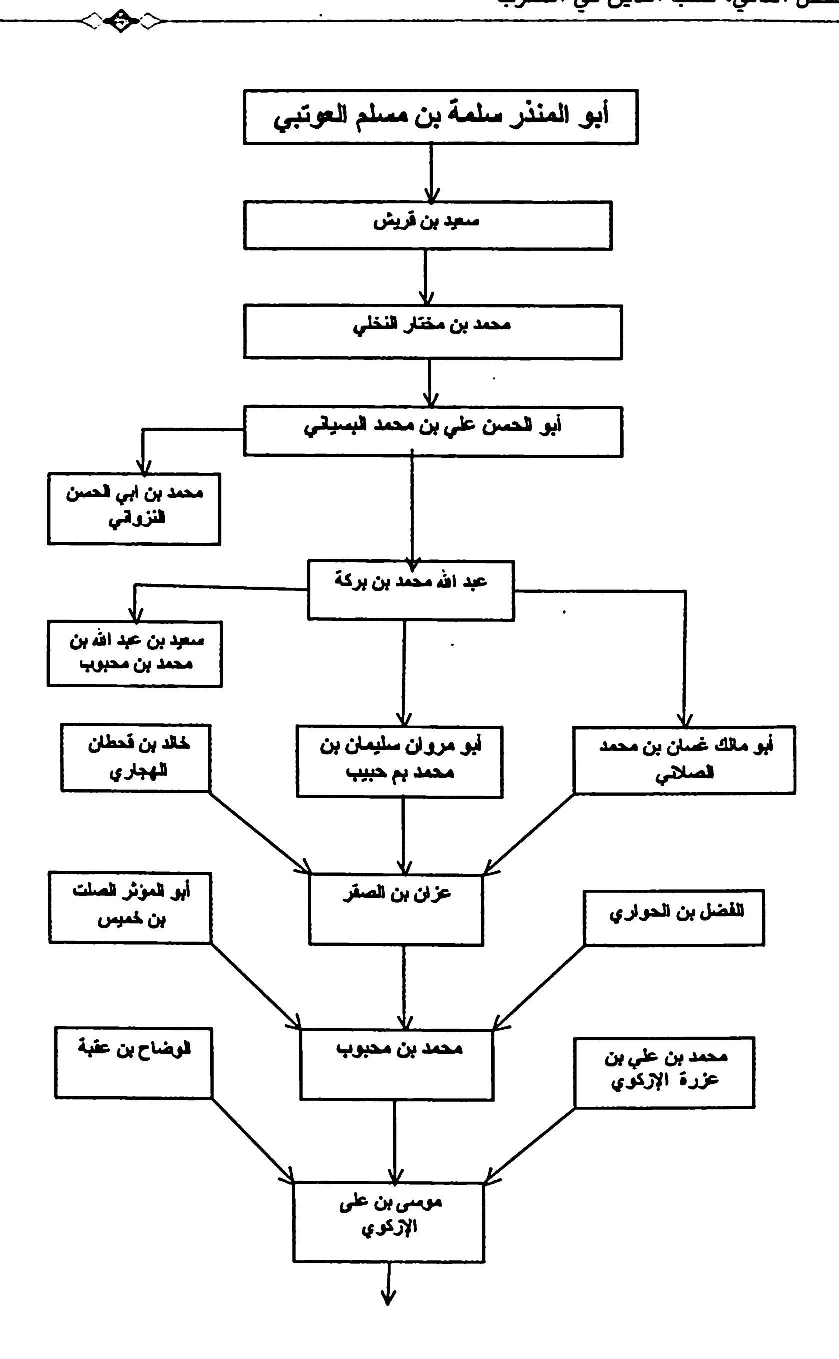
وحمل الفقيه أحمد بن محمد بن صالح هذا دينه عن الفقيه محمد بن إبراهيم بن سليمان الكندي، مؤلف بيان الشرع.

وحمل محمد بن إبراهيم دينه عن القاضي أبي علي الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان العقري النزوي»[1].

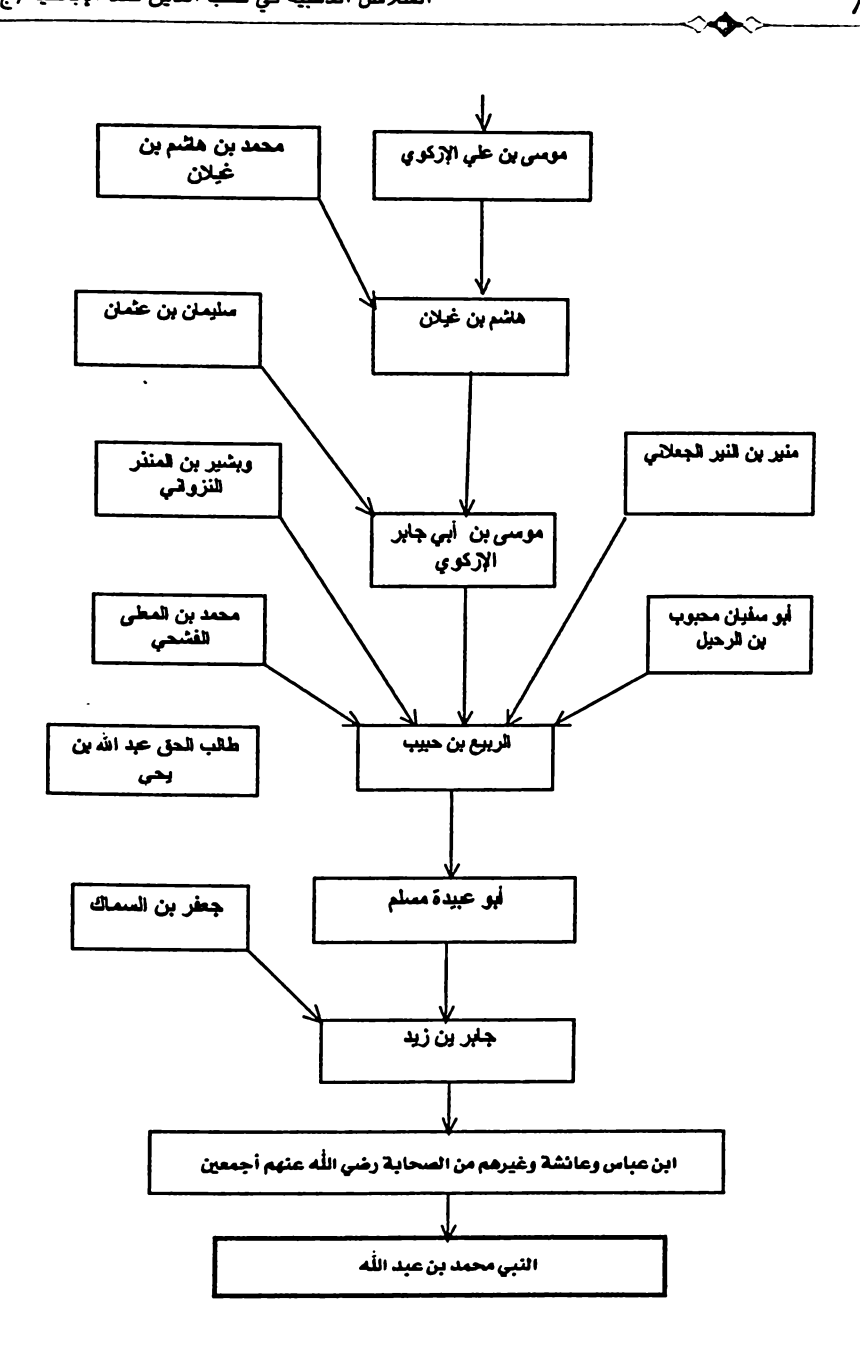
انتهى ما ذكره ابن مدَّاد من علماء عُمان حتى بداية القرن السادس.

---

(١) سيرة ابن مداد، مخطوط، ص ٢٣.



جدول رقم ٩ علماء نسبة الدين من سلمة بن مسلم العوتبي إلى موسى بن علي الإزكوي كما رواه ابن مداد



جدول رقم ١٠ شجرة علماء نسبة الدين من موسى بن علي الإزكوي إلى النبي ﷺ كما رواه ابن مداد

نَسَب الدين من كتاب «غرس الصواب»

وقد وجدت في سلسلة كتاب غرس الصواب في قلوب الأحباب (الكتيب رقم ١٠) سلسلة علماء عُمان حسب القرون. قال كاتبها[1]:

«يُروى عن رسول الله ﷺ قال: «يحمل هذا الدين من كل خلف عُدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» فكان عدول الإباضية حملوا هذا الدين، وقاموا بالواجب في حقه، يحمل الخلف عن السلف، فقد أخذ عدول هذا الدين دينهم عن يقين وثبات، يأخذ أهل كل قرن عمن قبلهم من العدول حتى وصلوا إلى رسول الله ﷺ المنبع الأصيل، رحمة هذه الأمة، عن جبريل الأمين، عن اللوح المحفوظ، عن رب العزة معبود العباد.

وها نحن في القرن الخامس عشر، وفيه علماؤه المعروفون وعلى رأسهم العلامة المجتهد أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي.

فهؤلاء أخذوا دينهم من عدول القرن الرابع عشر وهم: نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، والمحقق عامر بن خميس المالكي، وإمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي، والعلامة ماجد بن خميس العبري، والشيخ الثقة الأمين عبد الله بن محمد الريامي، والشيخ عيسى بن صالح الحارثي، والشيخ خلفان بن جميل السيابي، وغيرهم.

فهؤلاء أخذوا دينهم من عدول القرن الثالث عشر وهم: الشيخ الرباني سعيد بن خلفان الخليلي، وصالح بن علي الحارثي،

---

(١) اسم الكاتب غير مذكور، ولعله الشيخ سعيد بن حمد الحارثي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومحمد بن سليم الغاربي، وناصر بن جاعد الخروصي، وسلطان بن محمد البطاشي وغيرهم الكثير.

فهؤلاء أخذوا دينهم من عدول القرن الثاني عشـر وهم: الشيخ سعيد بن بشـير الصبحي، والشـيخ جاعد بن خميس الخروصي، والشيخ سـعيد بن أحمد الكندي، والشيخ خلف بن سنان الغافري، والشيخ ناصر بن سليمان، والشيخ محمد بن مداد.

فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن الحادي عشر وهم: الشيخ خميس بن سعيد الشـقصي، والشيخ مسـعود بن رمضان النبهاني، والشـيخ خميس بن رويشـد المجرفي، والشـيخ صالح بن سعيد الزاملي، والشيخ عبدالله بن محمد بن غسان الكندي.

فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن العاشر وهم: العلامة الكبير محمد بن عبدالباقي، والشـيخ عبدالله بن عمر بن زياد الشـقصي، والشيخ محمد بن أحمد بن غسان، والفقيه أحمد بن مداد، والشيخ محمذ بن عبدالله بن مداد.

فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن التاسع وهم: الشيخ علي بن عبدالباقي، والشـيخ أحمد بن صالح بن مفرج، والشيخ صالح بن وضاح، والشيخ سليمان بن أحمد بن مفرج، والشيخ أبو الحسن بن خميس بن عامر.

فهؤلاء أخذوا دينهـم من عدول القـرن الثامن وهـم: العلامة سـعيد بن أحمد بن محمد بن صالح، والشـيخ أبو القاسم بن أبي

شائق، وأخوه عبد الرحمٰن بن أبي شائق، والشيخ سليمان بن راشد بن صقر العدوي وأخوه الشيخ دهمان بن راشد بن صقر.

فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن السابع وهم: الشيخ أحمد بن النظر بن سليمان، والشيخ العلامة أبو عمر النخلي، والشيخ سعيد بن أحمد بن محمود، والشيخ أبو الميكال موسى بن كهلان، والشيخ أبو عثمان بن أبي عبد الله المعروف بالأصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن السادس وهم: الشيخ العلامة الخضر بن سليمان جد أحمد بن النظر المتقدم، والشيخ أحمد بن عبد الله بن موسى، والشيخ محمد بن إبراهيم بن موسى، وابن عمهما محمد بن موسى الكندي، والشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم السمائلي.

فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن الخامس وهم: العلامة أبو علي الحسن بن سعيد بن قريش، والعلامة سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، والعلامة محمد بن عبد الله بن المفدى الكندي، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى، والقاضي أبو علي الحسن بن أحمد الهجاري، والعلامة أبو الحسن البسيوي.

فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن الرابع وهم: إمام المذهب أبو سعيد بن محمد بن سعيد الكدمي الناعبي، والشيخ الأصولي أبو محمد بن بركة، والعلامة أبو محمد الحواري بن عثمان، والعلامة أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر.

فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن الثالث وهم: العلامة الكبير موسى بن علي، والعلامة محمد بن محبوب بن الرحيل، والعلامة أبو المؤثر الصلت بن خميس، والعلامة أبو جابر محمد بن جعفر، والعلامة بشير بن محمد بن محبوب، والعلامة المعلى بن منير.

فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن الثاني وهم: الإمام الربيع بن حبيب صاحب المسند الصحيح، وحملة العلم إلى عُمان وهم الخمسة المشهورون وهم: محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة، والمنير بن النير الجعلاني الريامي، ومحمد بن المعلى الكندي، وبشير ابن المنذر النزواني، وموسى بن أبي جابر الإزكوي، ومئات من أمثال هؤلاء الأعلام الكرام: كَهِلال بن عطية، قاضي الإمام الجلندى ابن مسعود، والذي استشهد معه في جلفار.

فهؤلاء أخذوا العلم عن أسلافهم الكرام عدول القرن الأول خير القرون وهم: الإمام جابر بن زيد أبو الشعثاء التابعي الثقة زميل الحسن البصري، ومازن بن غضوبة السعدي السمائلي الذي حمل بشرى النبوة إلى عُمان، وسيف بن هبيرة فارس رسول الله ﷺ، وعبد وجيفر ابنا الجلندى ملكا عُمان، وجعفر بن خثم العتكي، وأبو صفرة سارف بن ظالم، وصحار بن العباس العبدي، والقاضي كعب بن سور.

ومن الذي حملوا العلم في هذا القرن وأخذ أهل عُمان منهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، وعبد الله بن أباض.

وعلى رأس هؤلاء المذكورين الذين اعتمد الاباضية على روايته جابر بن زيد الثقة الأمين الذي لم يتهمه في روايته أحد من الموافقين له والمخالفين، وقد زكّاه كثير من المؤلفين من غير الإباضية، والإمام جابر حسبما شهر في غير موضع من كتب السِّيَر أنه أدرك سبعين بدرياً فحسبك بسائر الصحابة الذين لقيهم، وإن من أجل شيوخه من الصحابة عبدالله بن عباس وعائشة أم المؤمنين»[1]. انتهى.

ملحق

قبل أيام من تقديم الكتاب إلى الطباعة أرسل لي الشيخ سعيد بن ناصر الناعبي، نسب الدين من شيخه يحيى بن أحمد الكندي إلى القرن العاشر الهجري، وهذا نصه قال:

«أخذ شيخنا الفقيه يحيى بن أحمد بن سليمان الكندي النزوي العلم عن الشيخ سعود بن سليمان بن محمد الكندي النزوي، وأخذ الشيخ سعود عن الإمام محمد بن عبدالله الخليلي وعن الشيخ عبدالله بن عامر العزري، وهما أخذا العلم عن الإمام عبدالله بن حميد السالمي، والشيخ السالمي أخذه عن الشيخ راشد بن سيف اللمكي الرستاقي وعن الشيخ صالح بن علي الحارثي، والشيخ صالح أخذه عن الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلي، والشيخ سعيد الخليلي أخذ العلم عن الشيخ العلامة ناصر بن جاعد، والشيخ ناصر أخذ العلم عن الشيخ العلامة جاعد بن خميس الخروصي، والشيخ جاعد

---

(١) غرس الصواب في قلوب الأحباب، رقم ١٠، ص٧ ـ ١٣ مع بعض الاختصار.

أخذه عن الشيخ سعيد بن أحمد الكندي النزوي ثم النخلي، والشيخ سعيد بن أحمد الكندي أخذ العلم عن الشيخ الدراكة سعيد بن بشير الصبحي النزوي، والشيخ الصبحي أخذ العلم عن الشيخ خلف بن سنان الغافري والشيخ ابن عبيدان، وعن الشيخ ناصر بن سليمان بن محمد بن أحمد بن مداد الناعبي، والشيخ ناصر بن سليمان أخذ العلم عن والده الشيخ سليمان بن محمد بن مداد الناعبي، والشيخ سليمان بن محمد أخذ العلم عن الشيخ صالح بن سعيد الزاملي المعولي وعن الشيخ عبدالله بن محمد بن غسان الكندي، وهما أخذا عن الشيخ العلامة محمد بن عمر بن أحمد بن مداد الناعبي، وهنا أقف فلا أدري الشيخ محمد بن عمر عن من أخذ العلم؛ فهناك علماء كثيرون في نزوى وإزكي وبهلاء وغيرها من بلدان عُمان، فلا أدري عن من أخذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هل عن جده الشيخ أحمد بن مداد بن عبدالله بن مداد؟ أم عن مشايخ آل مفرج؟ أم عن الشيخ أبي القاسم بن محمد بن سليمان بن أبي سعيد الإزكوي؟ هذا والله أعلم.

هذا ما تمكنت من الحصول عليه فيما يتعلق بنسب الدين في عُمان، وأرجو من الباحثين وطلبة العلم من أهل عُمان وغيرهم أن يهتموا بتاريخ عُمان بصفة عامة، وبنسب الدين بصفة خاصة، وأن يجتهدوا في البحث والتنقيب عن المخطوطات الضائعة، وتحقيق المخطوطات الموجودة التي لا تزال تنتظر من ينفض عنها الغبار، عسى أن يكون في بعضها ما يوضح الحلقات المفقودة من تاريخ عُمان الناصع.

خاتمة الكتاب

إن الدارس لتراجم سلسلة علماء نسب الدين سيصل إلى حقيقة مهمة؛ هي أن المذهب الإباضي في فقهه وعقيدته وسلوك أتباعه؛ انتقل بالتواتر الجماعي عن طريق علمائه، وأن أصوله مستمدة من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية الصحيحة المجتمع عليها، ومن سيرة النبي ﷺ، وصحابته الكرام، ومن سير الصالحين الذين جاءوا من بعدهم.

ومن خلال هذه الحقيقة يمكن أن نستنتج ما يلي:

١ ـ أن أصول المذهب الإباضي في الفقه والعقيدة لم تتغير مع مرور الأزمان وتعاقب الأجيال.

٢ ـ أن شجرة نسب الدين عند الإباضية قوية ومتماسكة ومتصلة من زمن النبي ﷺ إلى وقتنا الحاضر، وفي رأي كثير من العلماء أن ما جاء من فقه وعقيدة وسلوك هو أصح وأدق وأقوى مما جاء عن روايات الحديث.

٣ ـ أن العقيدة عند الإباضية مبنيَّةٌ على التنزيه المطلق لله تعالى، وأن الفقه مبني على الاحتياط، وأن السلوك مبني على التقوى، وأن المعاملات مبنيةُ على الورع، وأن التعامل مع المخالفين مبني على التقدير والاحترام.

٤ ـ أن علماء نسب الدين عند الإباضي لم يكن لهم انتماء سياسي لأي دولة من الدول التي تعاقبت على حكم بلاد المسملين، بداية من الدولة الأموية وانتهاءً بالدولة العثمانية ما عدا الدول التي أنشأوها بأنفسهم كالدولة الرستمية والإمامات المختلفة في عُمان والتي تمثلت فيها مبادئ الإسلام من الشورى والعدل، ولذلك فإن فتاويهم وأقوالهم لم تتأثر بتوجيهات الحكام والولاة.

* * *

انتهـــى الجزء الأول من كتاب نســـب الدين عنــد الإباضية، وفي الأجزاء القادمة إن شاء الله سأقوم بترجمة لعلماء هذه السلسة من مصادر التاريخ التي يمكنني الحصول عليها، وأسأل الله العون والتوفيق.

يرجى ممن لديه أي معلومـــات، أو مخطوطات أو اقتراحات أو نصائح تخص نسب الدين أن يتواصل معي في إحدى الوسائل التالية:

سليمان بن سعيد الشيباني

sshebani@gmail.com


facebook.com/solimanshebani


@soliman2020

الفهرس

الفصل الثاني